

عمارة المسجد الأقصى المبارك

خالد عزب

الدكتور خالد عزب

مدير إدارة الإعلام بمكتبة الإسكندرية

مشرف على ذاكرة مصر المعاصرة

قائم بأعمال مدير مركز الخطوط بمكتبة الإسكندرية

حاصل على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية من جامعة القاهرة

له العديد من المؤلفات، منها:

- الحجر الصولجان: السياسة والعمارة الإسلامية، دار الشروق، ٢٠٠٧.
- دار السلطنة في مصر: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧.
- الفسطاط – أخبار اليوم، ٢٠٠٨

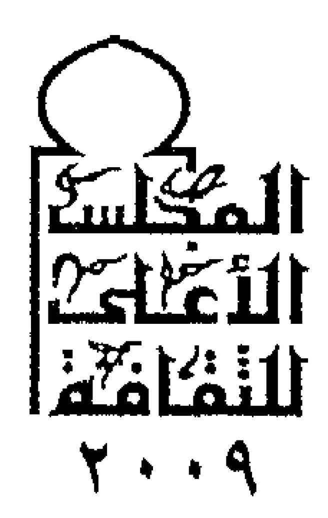
المجلس الأعلى للثقافة

عمارة المسجد الأقصى المبارك

جمع وإعداد وتقديم

خالد عزب





المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عزب ، خالد
عمارة المسجد الأقصى المبارك ، خالد عزب
القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ط ١ ، ٢٠٠٩
٨٨ ص ، ٣٠ سم
١ - المسجد الأقصى .   ٢ - المساجد - عمارة
٣ - المساجد- مبان .
أ - العنوان   ٨,٢٠٠

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٢٤٨٩٩
الترقيم الدولى I.S.B.N. 978 - 977 - 479 - 018 - 8
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel. : 27352396   Fax : 27358084.

الفهرس :

مقدمة

حين هممت بإنجاز كتاب عن "تراث مدينة القدس" لنشره بمناسبة اختيار مدينة القدس عاصمة للثقافة العربية، سعدت بأن أصبح بين يدي الألبوم التذكاري الفوتوغرافي الذي أهدي للملك فاروق بمناسبة الانتهاء من ترميم المسجد الأقصى مسبوقًا بمذكرة للأستاذ محمد عبد الفتاح مدير إدارة حفظ الآثار عن مشروع إصلاح المسجد الأقصى مؤرخة بعام ١٩٤٤م، تبين الجهود المصرية في ترميم المسجد.

فاقترحت على الصديق الدكتور عماد أبو غازي نشره فرحَّب، ورأيت أن أسبقه بدراسة وافية عن هذا المشروع، وقادتني عملية البحث في نوادر المجلات والصحف إلى تقرير وافٍ نشرته مجلة "المنتدى" الثقافية الفلسطينية، وهي مجلة شهرية، في عددها الصادر في سبتمبر ١٩٤٢م، واستهل التقرير بمقدمة لأمين عبد الهادي، وهذا التقرير الذي أعده علي طاهر الدجاني هو نفسه التقرير النهائي الذي رُفع للمجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين بعد انتهاء المشروع مع بعض التعديلات والاختصارات وإعادة الصياغة التي تتناسب ونشره صحفيًّا، وأضاف الدجاني له مجهودًا إضافيًّا بالتعريف بالمشاركين في المشروع، وتزويدنا بصور لهم على نحو ما رأيت في التقرير من صورة لمحمود أحمد باشا رئيس لجنة حفظ الآثار العربية مرتديًا الغطرة الفلسطينية، أو المعلم محمود الحبَّال أحد أشهر نحاتي الحجر في مصر، والذي عمل أحفاده في ترميم آثار القاهرة وعلَّموا أجيالاً، وفي حوار صحفي معه، قال إن المراحل المختلفة في ترميم المسجد الأقصى، وهي ثلاث مراحل، واضحة في تقرير الدجاني، وهي تكشف عن الحاجة الماسة من حين لآخر لصيانة وترميم هذا الأثر التاريخي خصوصًا أننا في السنوات الأخيرة ركزنا إعلاميًّا على ترميم قبة الصخرة، وهنا يجب أن أنبه إلى ضرورة التركيز على ترميم الحرم القدسي الشريف. هذا ما دعاني إلى أن أسبق تقرير الدجاني بتعريف شامل بالحرم القدسي وآثاره التاريخية حتى نزيل اللبس الذي يقع فيه الكثيرون باعتبار قبة الصخرة هي فقط المقدسة لدى المسلمين، فالحرم بأكمله مقدس لديهم.

إن الأمانة اقتضت مني ذكر تقرير علي الدجاني ونشره دون أن أعيد صياغته مرة أخرى ونسبته إلى نفسي على نحو ما يفعل البعض، كما أن الشكر واجب لكل من ساعدني على نشر هذا الألبوم بصورة علمية خصوصًا الأستاذة شيماء السايح.

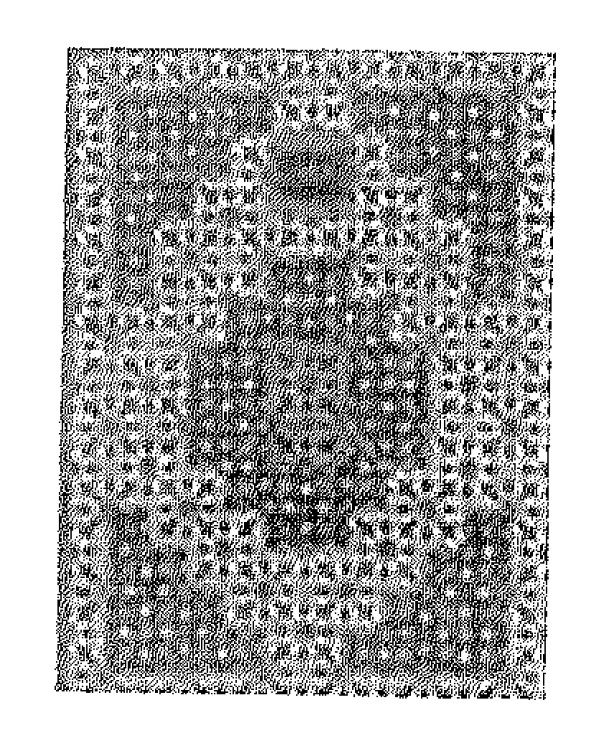
دكتور خالد محمد عزب

مدير إدارة الإعلام

مكتبة الإسكندرية



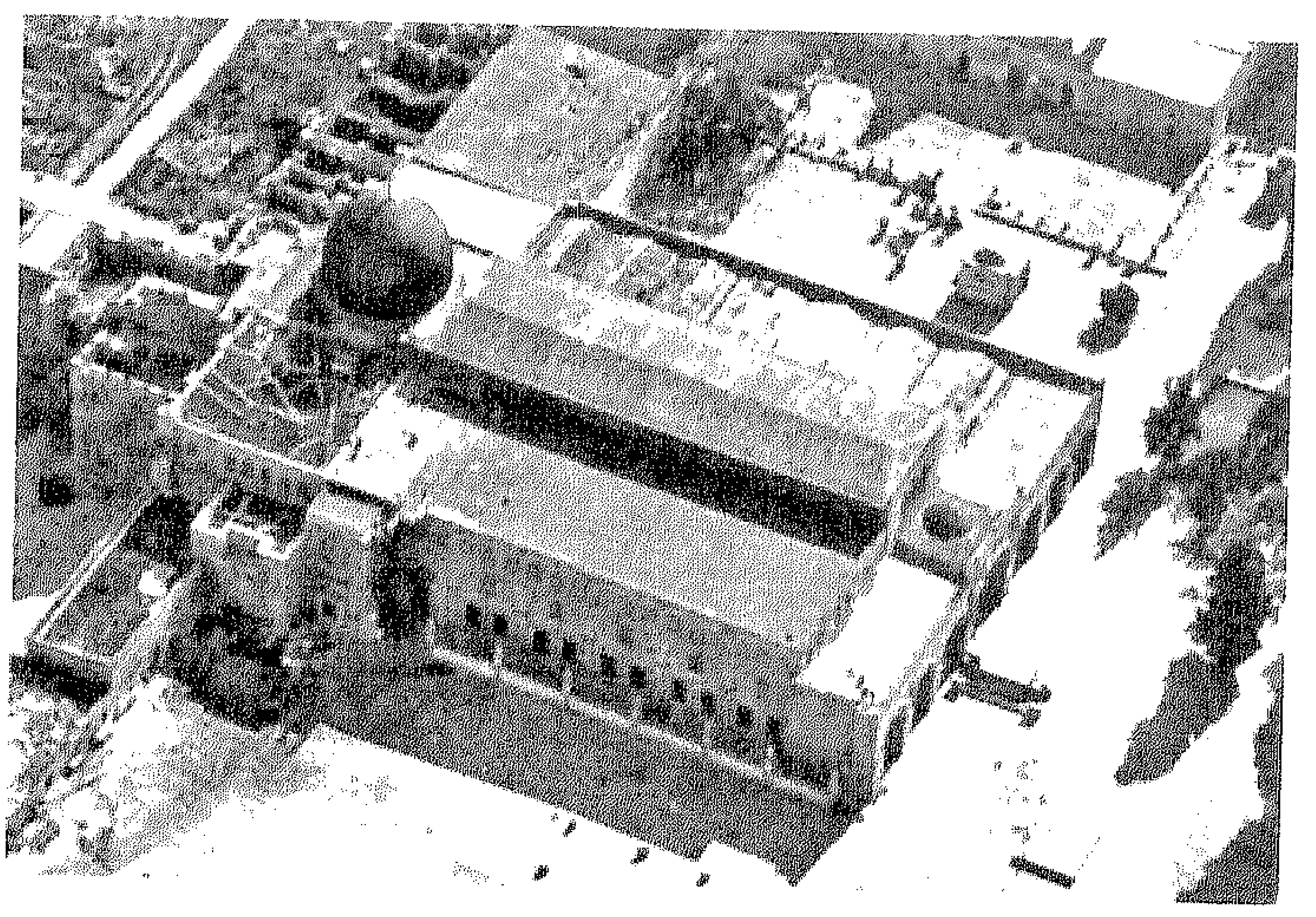
الحرم القدسي الشريف



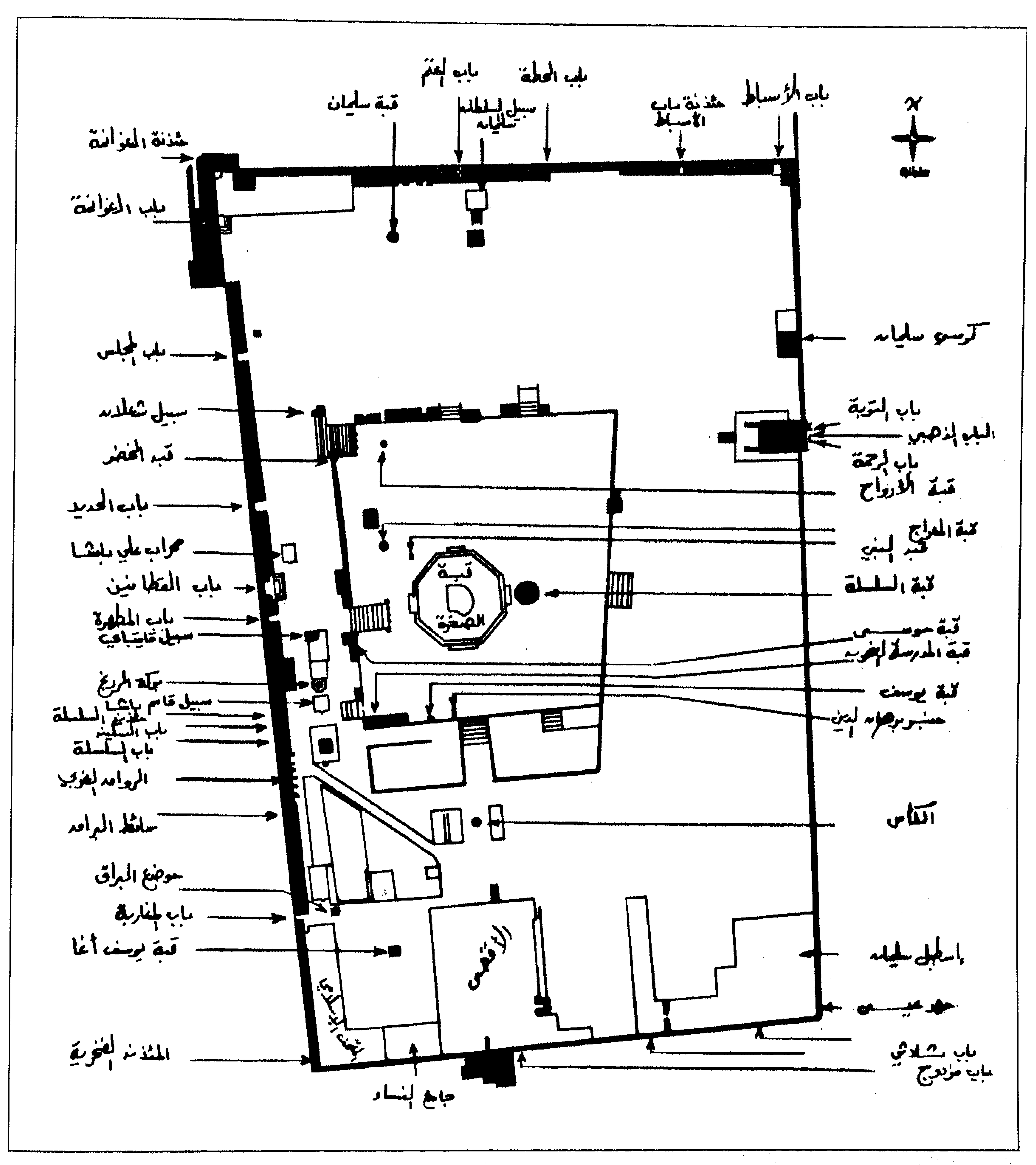
الحرم القدسي الشريف

شهد العصر الأموي نزاعًا حضاريًّا بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية للسيطرة على العالم القديم، واتخذ هذا النزاع صورًا متعددة؛ منها تعريب طراز أوراق البردي التي كانت تصنع في مصر وتعريب النقود في إطار سياسة رسمها عبد الملك بن مروان؛ الهدف منها إرضاء الشعور الديني والسياسي للمسلمين، كذلك اتجه عبد الملك بن مروان في إطار هذا المخطط الشامل إلى العمارة التي ترمز إلى سيادة الدولة واتجاهها الفكري، ففي القدس تبنى مشروعًا ذا طابع سياسي ديني حضاري، يرتكز على الاهتمام بعمارة الحرم القدسي الشريف وبخاصة قبة الصخرة والمسجد الأقصى، لارتباط هذا الحرم بالعقيدة الإسلامية فهو أولى القبلتين، وفيه صلى الرسول بالأنبياء، وإليه كان إسراؤه ومنه كان معراجه، ولما كانت عمارة الحرم آنذاك بسيطة لا تتناسب مع ما حولها من كنائس، خصوصًا كنيسة القيامة المقدسة لدى المسيحيين، ومع ما قد تحدثه عمارة الكنائس في نفوس بعض المسلمين، ورغبة عبد الملك في إثبات الهوية الحضارية الجديدة للمدينة تبنى مشروع عمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

يقع الحرم القدسي الشريف في الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس أعلى جبل "ألموريا" وتشغل مساحته حوالي ٢٦٠ مترًا مربعًا، ويضم الحرم القدسي عددًا من المنشآت المعمارية الإسلامية؛ منها قبة الصخرة والمسجد الأقصى، بالإضافة إلى عدد من الأسبلة والقباب التي بنيت على فترات تاريخية مختلفة، بالإضافة إلى عدد من المآذن والعناصر المعمارية الأخرى من منابر ومحاريب، يحيط بالحرم سور فُتحت به عدة أبواب يصل عددها إلى خمسة عشر بابًا، وفيما يلي وصف تفصيلي لما يضمه الحرم القدسي الشريف من هذه المنشآت:



منظر من أعلى للمسجد الأقصى



الحرم القدسي الشريف

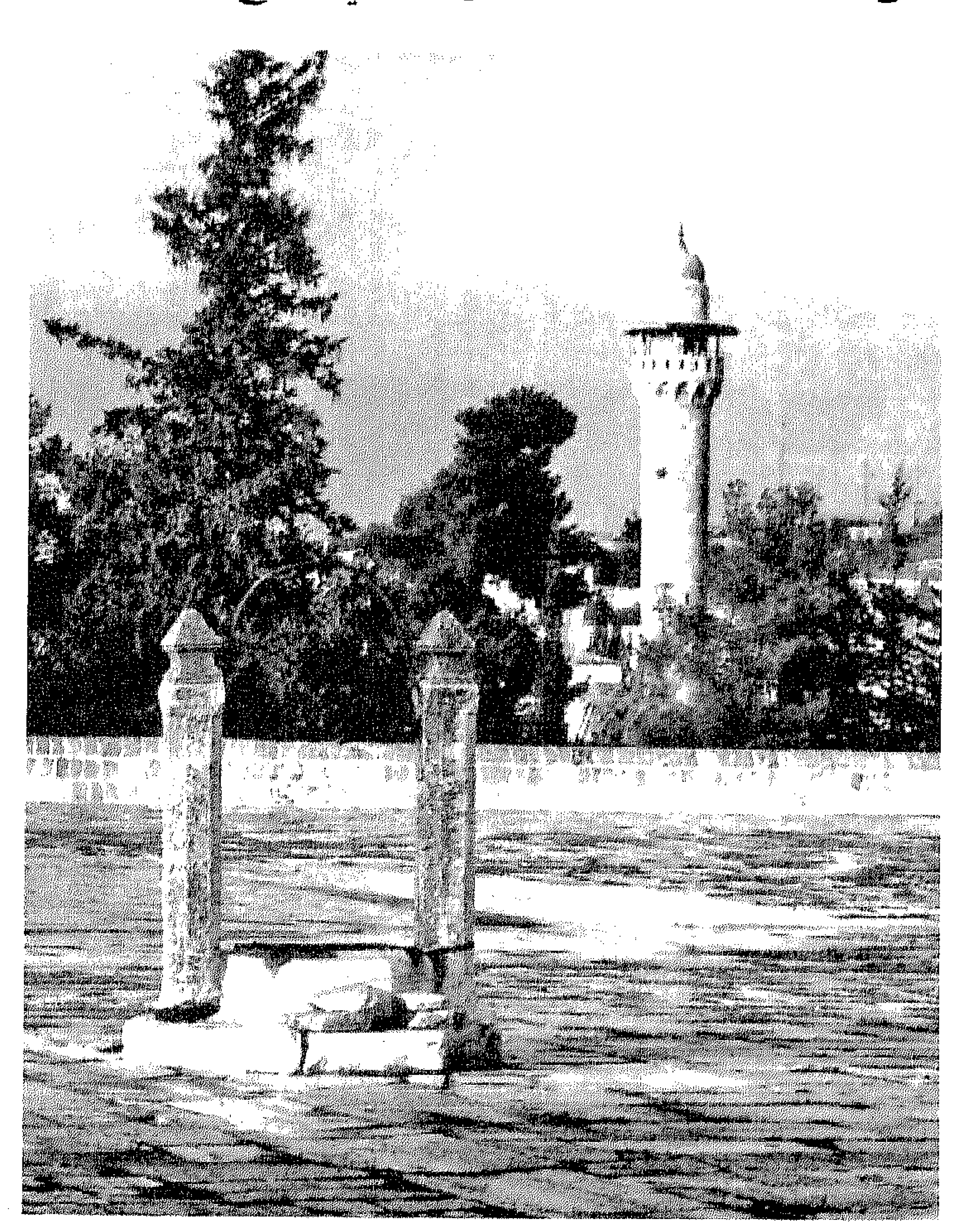
باب الأسباط

يقع بالسور الشمالي للحرم، ويتخذ شكل عقد حجري مدبب يؤدي إلى ردهة مغطاة بقبو متقاطع، وهو يقع على الحرم بعقد حجري مدبب مماثل للعقد الخارجي.

مئذنة باب الأسباط

أنشأها الأمير سيف الدين قطلوبغا نائب القدس في عام ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، في عهد السلطان الأشرف شعبان بن السلطان حسن، وتقع في الركن الشمالي الشرقي لسور الحرم، وتعرف باسم "المئذنة الصلاحية" ربما لقربها من المدرسة الصلاحية أو بـ"مئذنة بني إسرائيل" لقربها من بركة بني إسرائيل.

تتكون هذه المئذنة من بدن أسطواني حجري مقام على قاعدة مربعة، لها مدخل جنوبي متوج بصفوف من المقرنصات الحجرية، وينتهي البدن الأسطواني بشرفة مؤذن مستديرة مغطاة بقبة ضحلة.



مئذنة باب الأسباط.

باب الحطة

وهو من أقدم أبواب الحرم الشريف، ويقع بالسور الشمالي منه، له مدخل حجري شاهق الارتفاع معقود بعقد مدبب على جانبيه مكسلتان حجريتان، يغلق على المدخل باب ذو مصراعان من الخشب.

أشار الرحالة ناصر خسرو إلى أن الله عز وجل أمر بني إسرائيل بالدخول إلى الحرم من هذا الباب، وجاء في سورة البقرة الآية رقم ٥٨ "وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾".

باب العتم

وهو الباب الذي دخل منه الخليفة عمر بن الخطاب القدس، ويقع بالسور الشمالي للحرم، ويعرف بـ"باب شرف الأنبياء"، و"باب الدوادارية"، كما يعرف بـ "باب الملك فيصل" تخليدًا لذكرى تبرعه لعمارة المسجد الأقصى.

يتكون هذا الباب من مدخل مرتفع على هيئة عقد حجري مدبب، يغطي فتحته مصراعان من الخشب، بأحدهما خوخة، وتقوم فوق هذا الباب المدرسة الباسطية، والمدرسة الأمينية.

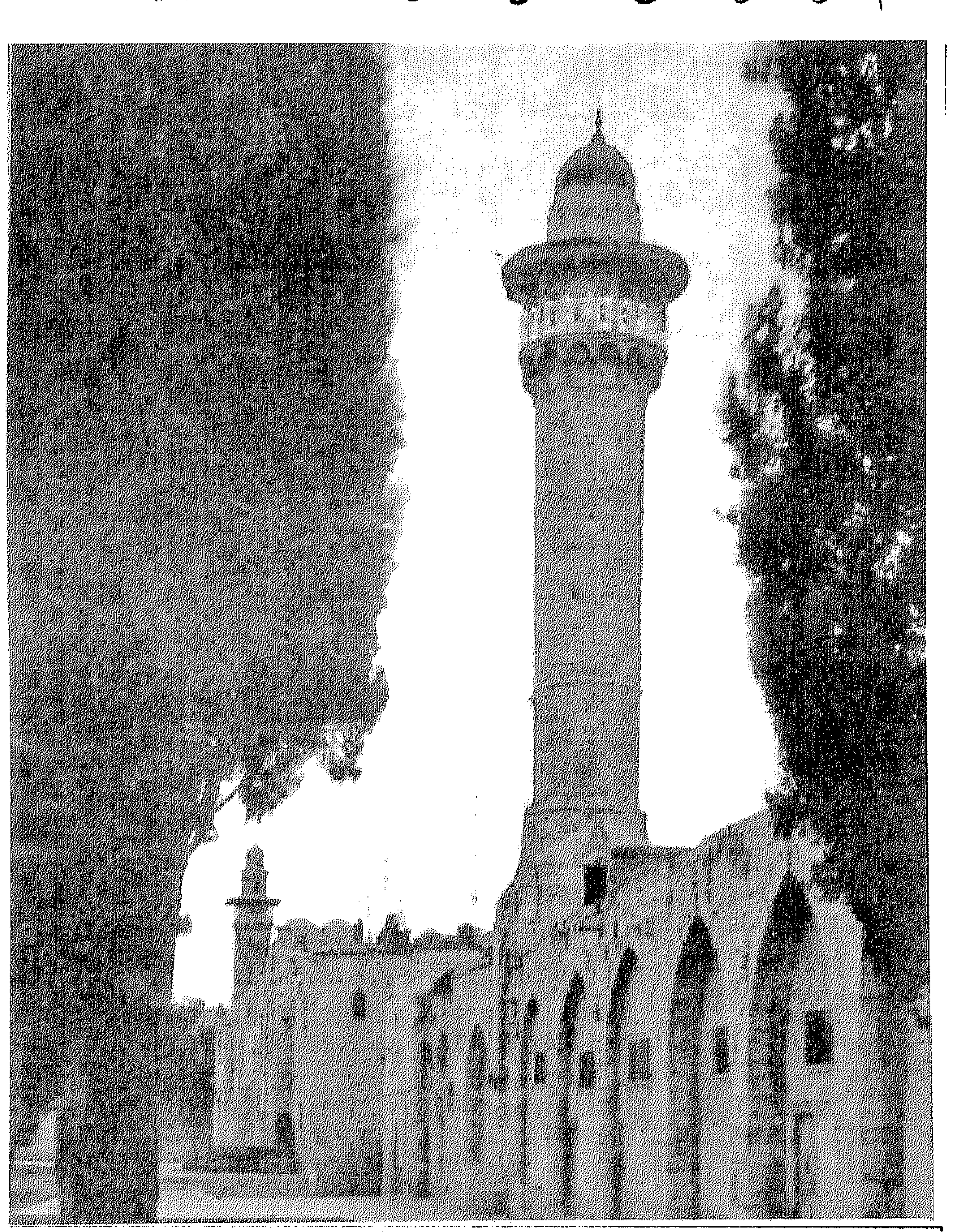
مئذنة الغوانمة

تقع عند الركن الشمالي الغربي للحرم القدسي، أنشأها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن فخر الدين الخليلي ناظر الحرمين الشريفين وذلك عام ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، ولهذه المئذنة قاعدة حجرية مرتفعة تنتهي بمجموعة من المقرنصات الحجرية التي يبدأ منها الطابق

الثاني فتحت بجوانبه الأربع نوافذ مربعة، ويشغل الطابق الثالث من المئذنة دخلات صماء في وسط كل منها عمود رخامي على جانبيه عمودان متماثلان، تحمل هذه الأعمدة عقدين مدببين لهما صنجات على هيئة مخدات متلاصقة، وينتهي هذا الطابق بحطات من المقرنصات الحجرية تحمل شرفة المؤذن، يعلو السقف المسطح لشرفة المؤذن جوسق مثمَّن مكون من ثمانية عقود مدببة مغطَّى بقبة صغيرة.

باب الغوانمة

يقع باب الغوانمة في السور الغربي للحرم القدسي باتجاه الشمال، عرف قديمًا باسم باب الخليل، كما عرف بباب الوليد، وسمي بباب الغوانمة حيث إنه ينتهي إلى حارة بني غانم، ويتكون من مدخل معقود بعقد حجري مدبب



مئذنة باب الأسباط، ومئذنة الغوانمة.

ذي مصراعين من الخشب، يؤدي هذا المدخل إلى دهليز مستطيل مغطًّى بقبو طولي ينتهي بدوره إلى داخل الحرم الشريف عبر درجات سلم تهبط إليه.

باب الناظر

يقع باب الناظر في السور الغربي للحرم، يرجع بناؤه إلى فترة سابقة للعهد الأيوبي، إلا أنه جدد في عهد الملك المعظم عيسى عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، عرف هذا الباب باسم "ميكائيل"، كما عرف باسم علاء الدين البصير وباب الحبس وباب النذير، ويعرف الآن بباب الناظر أو باب المجلس.

وهو باب ضخم، محكم البنيان، يتخذ شكل عقد حجري مدبب، توجد في أعلاه صنج معشقة، ويغطي فتحته باب خشبي مصفح بالنحاس، وجميع ما في داخل هذا الباب من أقبية ومبانٍ وقفه الأمير علاء الدين آيدغدي، على الفقراء القادمين لزيارة القدس.

باب الحديد

يقع بين بابي الناظر والقطانين في السور الغربي للحرم، ويقع في دخلة قليلة الغور، متوجة بعقد حجري مدبب على جانبيها مكسلتان من الحجر، وفتحة الباب مستطيلة لها عتب حجري، وبأعلى العقد المدبب فتحة معقودة بعقد نصف دائري مزخرف.

باب القطانين

سُمي بهذا الاسم لأنه ينتهي إلى سوق القطانين، وهو باب قديم جُدد في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وهو باب في غاية الإتقان، ويتميز بغناه بالعناصر المعمارية والزخرفية، ويتكون من مدخل يغطيه مصراعان من الخشب مصفحان بالنحاس يعلوه شريط كتابي يتضمن اسم مجدده "الأمير سيف الدين تنكز الناصري" في عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، يعلو الشريط الكتابي عقد ثلاثي الفتحات يتكون

من أحجار سوداء وبيضاء تعلوه مجموعة من المقرنصات التي تعلو ربع رقبة يتقدمها عقد حجري مدبب يتكون من أحجار حمراء وبيضاء.

باب المطهرة

يقع هذا الباب بالسور الغربي للحرم القدسي، وكان يعرف قديمًا باسم "باب المتوضأ"، ويعرف اليوم باسم "باب المطهرة"، وهو باب من النوع المتوسط الحجم، يتوصل إليه من أرض الحرم عن طريق عدة درجات، ويتكون من مدخل حجري معقود بعقد مدبب، على جانبيه عودان رخاميان يحملان عقدًا مدببًا، صنجاته المعشقة على هيئة مخدات متلاصقة، ويغطي فتحته مصراعان من الخشب، يؤدي إلى ممر مكشوف لتوفير الإضاءة ولتهوية المطهرة، يؤدي هذا الممر إلى المطهرة.

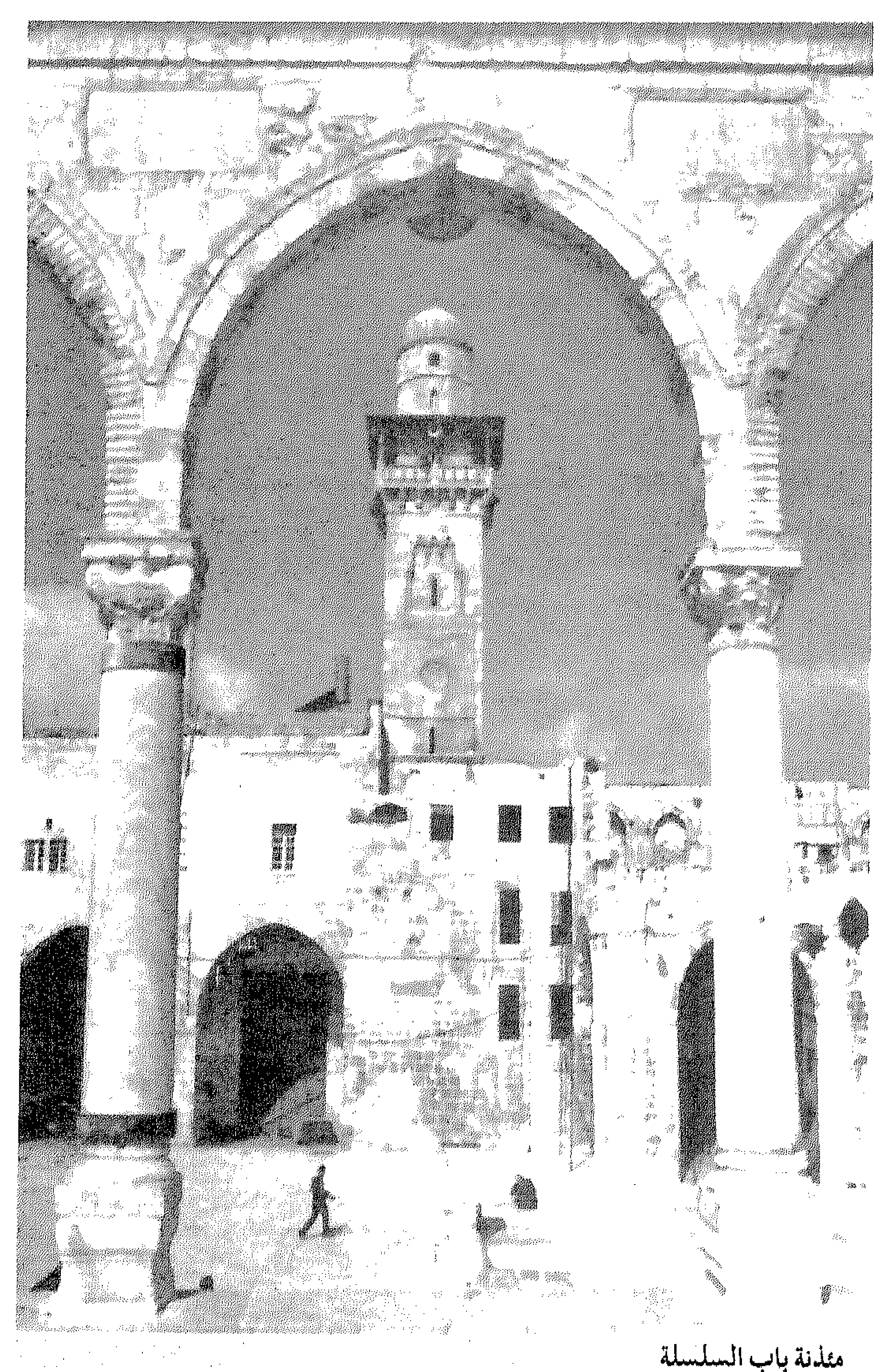
مئذنة السلسلة

تقع مئذنة السلسلة عند السور الغربي للحرم، أنشأها الأمير سيف الدين تنكز الناصري أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠م، وتعرف هذه المئذنة أيضًا باسم "منارة الحكمة".

لهذه المئذنة قاعدة مربعة يليها طابق ثان أقل اتساعًا فتحت في جهاته الأربع نوافذ، يليه طابق ثالثٌ مماثل للطابق الثاني وتتوج نوافذه صفوف من المقرنصات الحجرية، يلي ذلك شرفة المؤذن التي تستند على كوابيل حجرية يعلوها جوسق مثمن يحمل طاقية تعرف بـ"المبخرة".

بابا السلسلة والسكينة

يقعان في السور الغربي للحرم، يعد كل منهما من الأبواب الرئيسية للحرم الشريف؛ والجنوبي منهما مفتوح وهو باب السلسلة، والشمالي مغلق وهو باب السكينة، والذي كان يعرف قديمًا بـ "باب داود".



مئذنة باب السلسلة

يتكون كل منهما من مدخلين مرتفعين، على هيئة عقد مدبب، تعلوهما صنج حجرية معشقة، ويغطي فتحة المدخل في كل منهما مصراعان من الخشب توجد به خوخة، تزين مدخل كل منهما ثمانية أعمدة رخامية؛ أربعة من كل طرف.

الرواق الغربي

بنيت الأروقة الغربية في بداية القرن الثامن الهجري، وكانت تعقد داخلها حلقات العلم، وتتألف من دعامات حجرية، تمتد من نهايتها عقود مدببة ترتكز على سور الحرم، في أواخر العصر العثماني سُدَّت فتحات الرواق

المطلة على ساحة الحرم بغرض استعمالها أماكن لإيواء الفقراء من المسلمين الوافدين إلى القدس إلى أن فتحت وعادت إلى ما كانت عليه في عام ١٩٢٢م.

حائط البراق

يمثل الجزء الجنوبي من جدار الحرم القدسي، يبلغ طوله ٤٨ مترًا، وارتفاعه ١٧ مترًا، ويشكل جزءًا من الأقصى، وفي هذا المكان المبارك وصل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أسرى من الكعبة إلى الأقصى.

يطلق اليهود على هذا الجدار اسم "حائط المبكى" حيث يأتون في عصارى كل الأيام وبخاصة أيام الجمعة لينوحوا على زوال مجدهم، فيقفون أمام هذا الجدار ويبكون على حالتهم ويتذكرون أزمانهم ويصلون إلى الله أن يعيد لهم سابق مجدهم، بأصوات حزينة وبكاء مر.

يدَّعي اليهود أن هذا الحائط من بقايا الهيكل، ومما لا شك فيه أن الهيكل الأول الذي بناه سليمان عليه السلام قد هدمه "نبوخذ نصر" عام ٥٨٧ ق.م، وأن الهيكل الثاني الذي بناه هيرود عام ١٨ ق.م. قد هدمه "تيطس الروماني" عام ٧٠م، وأزال آثاره بالكامل "هدريان الروماني" عام ١٣٥م.

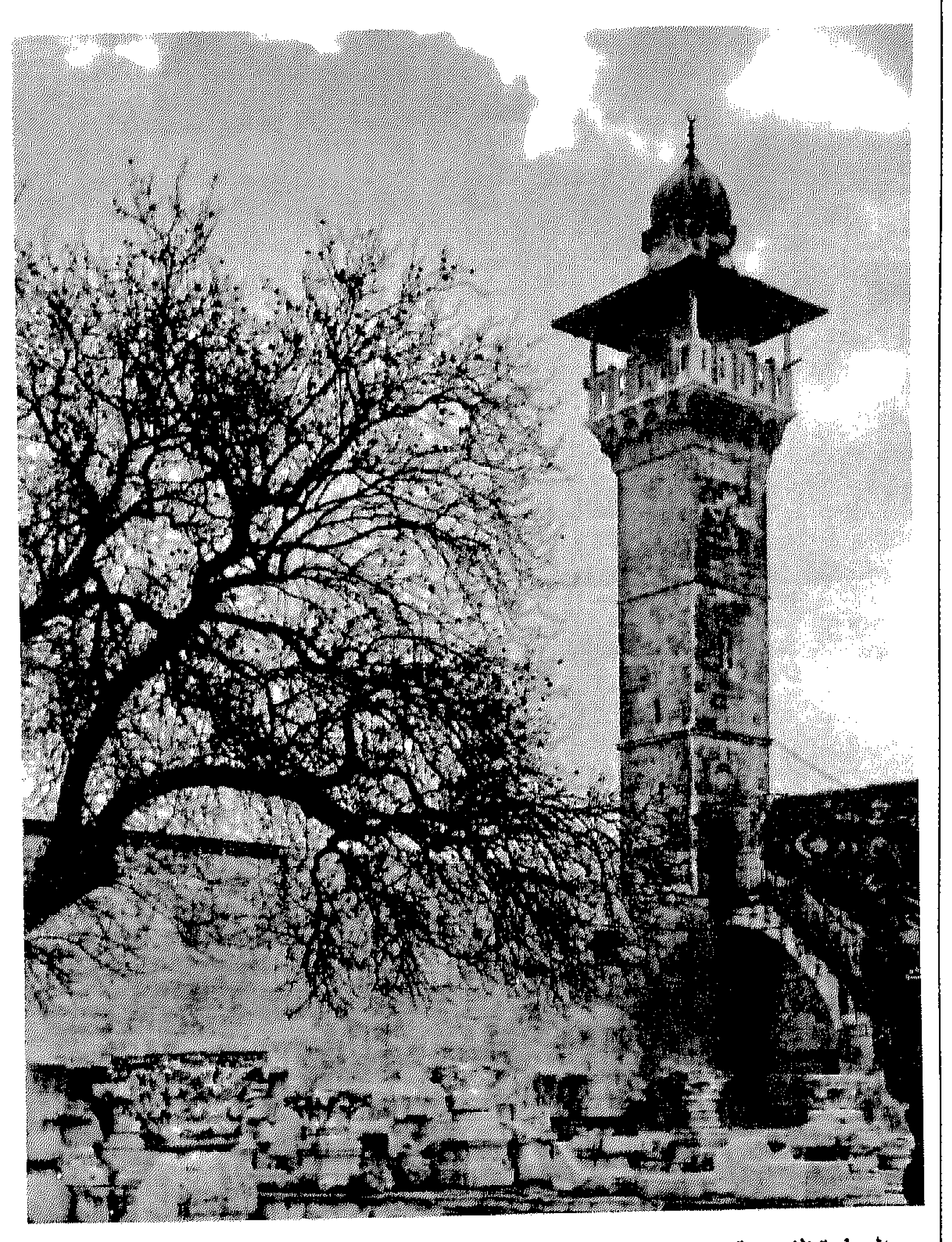
وقد أثيرت القضية دوليًا عام ١٩٣٠م، وشكلت لجنة دولية للتحقيق كان أعضاؤها من الدول المسيحية، ووافق مجلس الأمم في مايو ١٩٣٠م على تأليفها وأقر اليهود صلاحيتها وكان لهم ثلاثة وكلاء هم المحامي "مردخاي ألباش"، و"داود يلين" وهو مستوطن قديم، والحاخام "موشي بلاو"، وأصدرت قرارها كما يلي: "للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف، وللمسلمين أيضًا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفًا حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير".

باب المغاربة

يعد آخر أبواب السور الغربي من ناحية الجنوب، عرف باسم "باب النبي" حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، كما يعرف باسم "باب البراق"، أما عن سبب تسميته بباب المغاربة فيعود إلى مجاورته جامع المغاربة، ونهايته عند حارة المغاربة، وهو عبارة عن عقد حجري مدبب بسيط البناء متوسط الارتفاع والسعة، له باب ذو مصراعين خشبيين يغلقان عليه.

المئذنة الفخرية

تقع في الزاوية الجنوبية الغربية للحرم القدسي، أنشأها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي في عام ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، وهي



المئذنة الفخرية

مئذنة متعامدة الأضلاع تتكون من ثلاثة طوابق، تقل أبعادها كلما ارتفعت، ويمثل الطابق الأول قاعدة المئذنة، يليها الطابق الثاني وقد فتحت به نافذة توأمية، أما الطابق الثالث فينتهي بحطتين من المقرنصات الحجرية تحمل شرفة المؤذن، أما قمة المئذنة فتتخذ شكل قبة صغيرة تشبه قمم المآذن المملوكية.

الباب الذهبي

من المرجَّح أن هذا الباب أُسِّس في عهد هيرودس الكبير، ولم يتبق من ذلك إلا الموقع والتخطيط العام، ويتشابه تصميم هذا الباب وهيئته المعمارية مع تصميم الأبواب الأموية التي صُممت في الجدار الشمالي للحرم الشريف.

يتكون هذا الباب من بابين يعرفان باسم باب الرحمة وباب التوبة، وقد أغلق هذان البابان، ويذكر أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر بإغلاقهما عندما فتح القدس.

سبيل السلطان سليمان

يقع داخل الحرم بالقرب من باب العتم، أنشأه السلطان العثماني سليمان القانوني عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م، يعرف أيضًا بسبيل "باب العتم"، وهو مستطيل الشكل بأسفله حوض حجري وفوقه صنبور للماء، يعلو ذلك نقش كتابي تذكاري منفذ على الرخام يتضمن اسم السلطان وألقابه وتاريخ البناء، يعلو ذلك نقش آخر يحمل نفس المضمون لكنه منفذ باللغة التركية.

تشتمل الواجهة الخلفية "الشمالية" على مصلى مكشوف عبارة عن مصطبة أقرب إلى المربع، وترتفع هذه المصطبة عن أرض الحرم بنحو نصف متر تقريبًا، ويتوسط صدر هذه المصطبة محراب حجري بسيط تعلوه لوحة نقش عليها ما يشير إلى تجديد هذا المحراب من قبل السلطان سليمان بصيغة "جدد هذا المحراب الشريف في أيام مولانا السلطان سليمان بن السلطان سليم خلَّد الله ملكه"، ويُستدلّ من هذا النقش على أن المصلى يرجع إلى ما قبل عصر السلطان سليمان (٩٢٦:٩٧٤هـ/ ١٥٢٠:١٥٦٦م)، وهو الأمر الذي يشير إلى أن السبيل هو الذي ألحق بواجهة المصلى عقب تجديد السلطان سليمان له وليس العكس.

محراب علي باشا

يقع هذا المحراب بالقرب من باب القطانين، أنشأه علي باشا متولي القدس في العصر العثماني عام ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٨م، بني هذا المحراب على مصطبة مستطيلة ترتفع قليلًا عن مستوى ساحة الحرم، ويتخذ شكل مستطيل شُيِّدَ بالحجر المشهر أي بواسطة مداميك حجرية بيضاء وحمراء بالتبادل، يتوسط المحراب حنية حجرية متوَّجة بعقد مدبب، يعلوها لوحة رخامية بها نص تأسيسي سُجِّل فيه اسم المنشئ "علي باشا" وتاريخ البناء وذلك بخط النسخ.

المطهرة

أنشأها السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، وجددها الأمير علاء الدين البصيري ناظر الحرم الشريف، ويتم التوصل إليها عبر باب المطهرة المؤدي إلى عدة درجات، فينزل منها إلى ممر مكشوف يؤدي إلى مطهرة الرجال والنساء.

تتكون هذه المطهرة من مجموعة غرف مخصصة للطهارة وأماكن للوضوء، ومجموعة بيوت، وفسقية كبيرة، وتنقسم المطهرة إلى قسمين: أحدهما للرجال، والآخر للنساء، هذا بالإضافة إلى مجموعة غرف تقع فوق مطهرة النساء، استعملت فيما بعد كمساكن تؤجر لوقف الحرم.

سبيل قايتباي

يقع داخل الحرم الشريف، أنشأه السلطان الملك الأشرف قايتباي عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، وهو عبارة عن بناء

مربع الشكل شُيِّدت أحجاره بأسلوب المداميك المشهرة، ويحتوي السبيل على أربعة شبابيك للتسبيل، ويضم الطابق الأول من السبيل من الداخل "بئر الماء"، وهو خاص بتخزين مياه الأمطار، أما الطابق الثاني فيرتفع بمقدار متر واحد عن مستوى الشارع، وبه المزملة لتفريغ ماء الشرب.

بركة الرزنج

تقع بالقرب من البائكة الغربية للحرم القدسي الشريف، استخدمت هذه البركة لتخزين مياه الأمطار الشتوية، كما استخدمت كفوارة للماء، وهي عبارة عن بناء مربع الشكل، فرشت أرضيتها وحوافها بالرخام، أقيمت بوسطها نافورة رخامية محاطة بسياج حديدي.

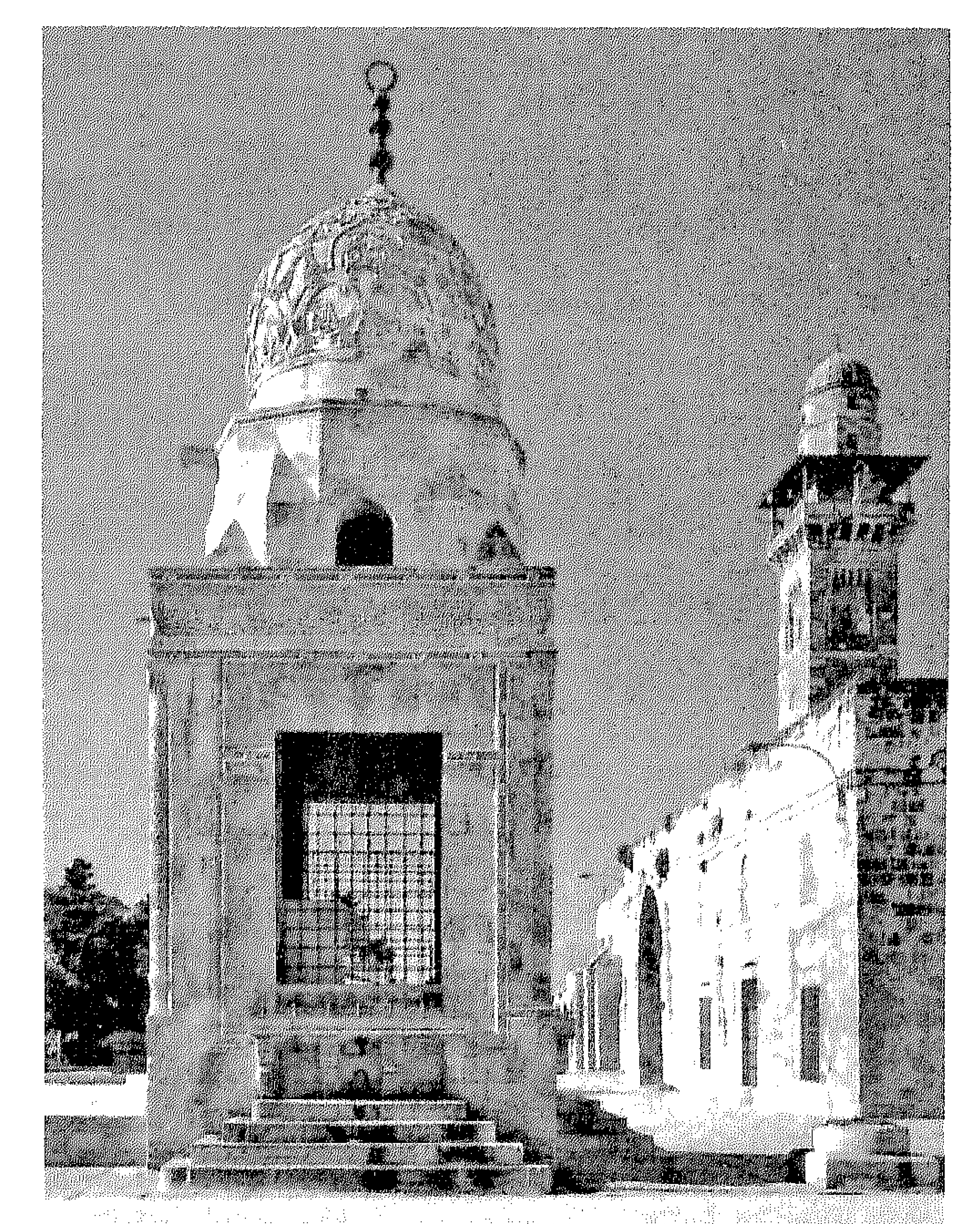
سبيل قاسم باشا

يقع غرب الحرم القدسي الشريف، أنشأه "قاسم باشا" والي القدس في عهد السلطان سليمان عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٧م، ويتكون هذا السبيل من مبنى ثماني الأضلاع تغطيه قبة أسفلها رفرف خشبي لحماية مستخدمي السبيل من حرارة الشمس صيفًا والمطر شتاءً.

وقد فُتح أسفل كل ضلع من أضلاع المثمن صنبور للمياه، أمامه مقعد حجري لجلوس المتوضئين.

جامع النساء

يقع هذا الجامع داخل الحرم القدسي جنوب غرب المسجد الأقصى، أنشأه السلطان الناصر صلاح الدين عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، حيث كان الصليبيون قد أقاموا خلال احتلالهم القدس مكان طعام لفرسان الهيكل، إلا أن صلاح الدين هدمه وحوله إلى مسجد بعد أن استعاد القدس، وأطلق عليه جامع النساء، حيث إن صلاة النساء به في معزل عن المصلين في المسجد الأقصى وساحته مكشوفة، كما يطلق عليه الجامع الأبيض.



سبيل قايتباي، ومئذنة السلسلة



سبيل قايتباي، ودرجات باب القطانين

ويتكون هذا الجامع من بيت للصلاة، مقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية مغطاة بأقبية متقاطعة، يستخدم الأوسط منها كجامع لصلاة النساء، أما القسمان الآخران فيشغلهما المتحف الإسلامي ومقر لجنة إعمار المسجد الأقصى، ويلاحظ أنه ليس هناك محراب لهذا الجامع، وإنما يعتمد على موازاة جدار القبلة لجدار قبلة المسجد الأقصى لتحديد اتجاه القبلة، ويقع مدخل هذا الجامع في الجهة الشمالية، وهو عبارة عن مدخل صغير يحيط به عمودان من الرخام وحالته اليوم لا بأس بها.

المسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، يقع في الجهة الجنوبية من الحرم القدسي الشريف، أمر ببناء المسجد في موقعه القديم الخليفة عمر بن الخطاب، بعد فتح بيت المقدس- بصورة بسيطة، ولم يسهب المؤرخون في وصف عمارته.

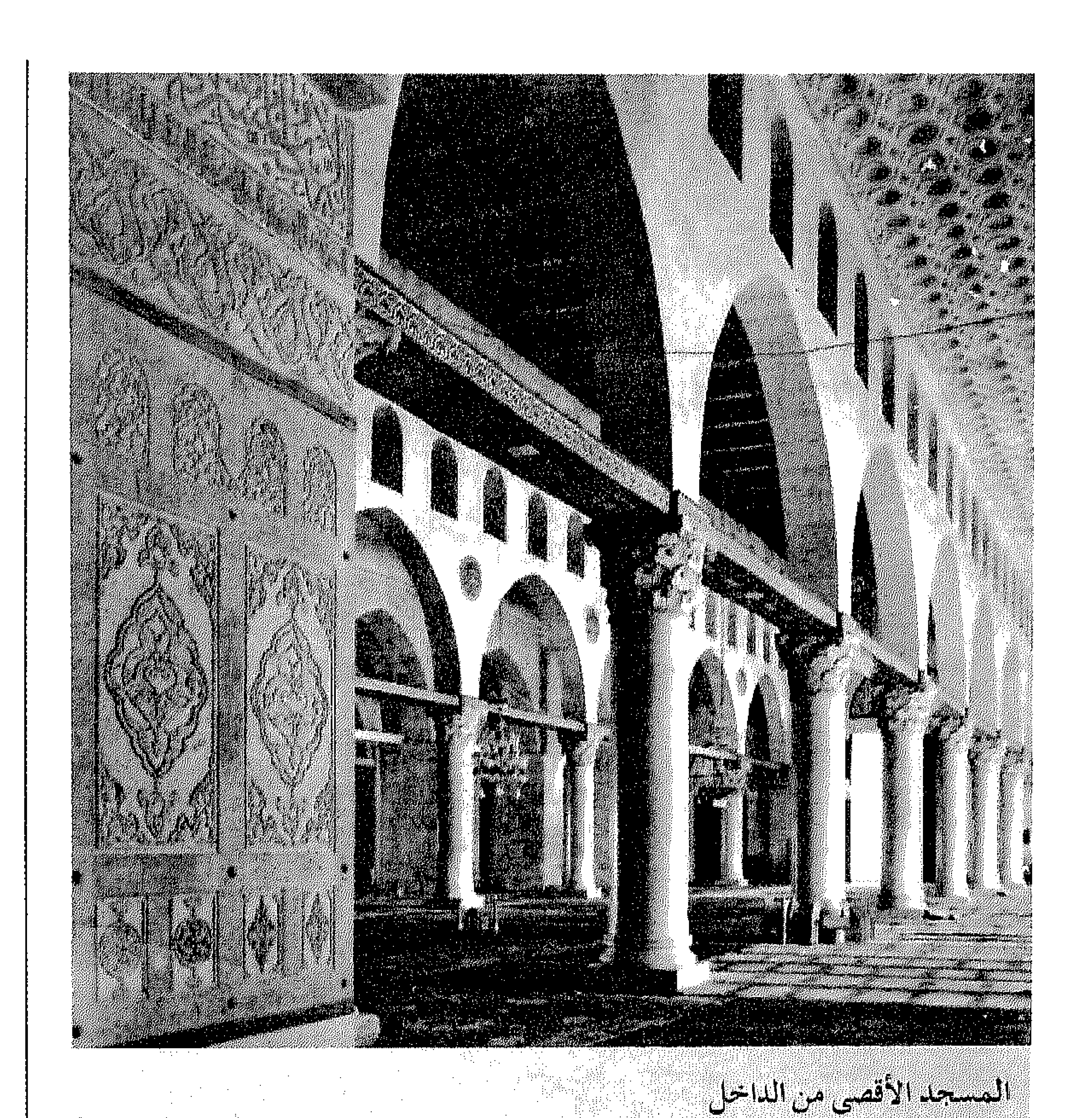
أعاد بناء المسجد الأقصى الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ/ ٦٩٢م، وأتمه من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م.

اجتهد عبد الملك بن مروان وولده في أن يكون المسجد الأقصى أفخم من مسجد دمشق، لأنه يجاور كنيسة القيامة، حتى إنه يذكر أن أبوابه كانت مصفحة بالذهب والفضة، ولكن أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وسكها دنانير ودراهم للإنفاق منها على تعمير المسجد وإصلاحه.

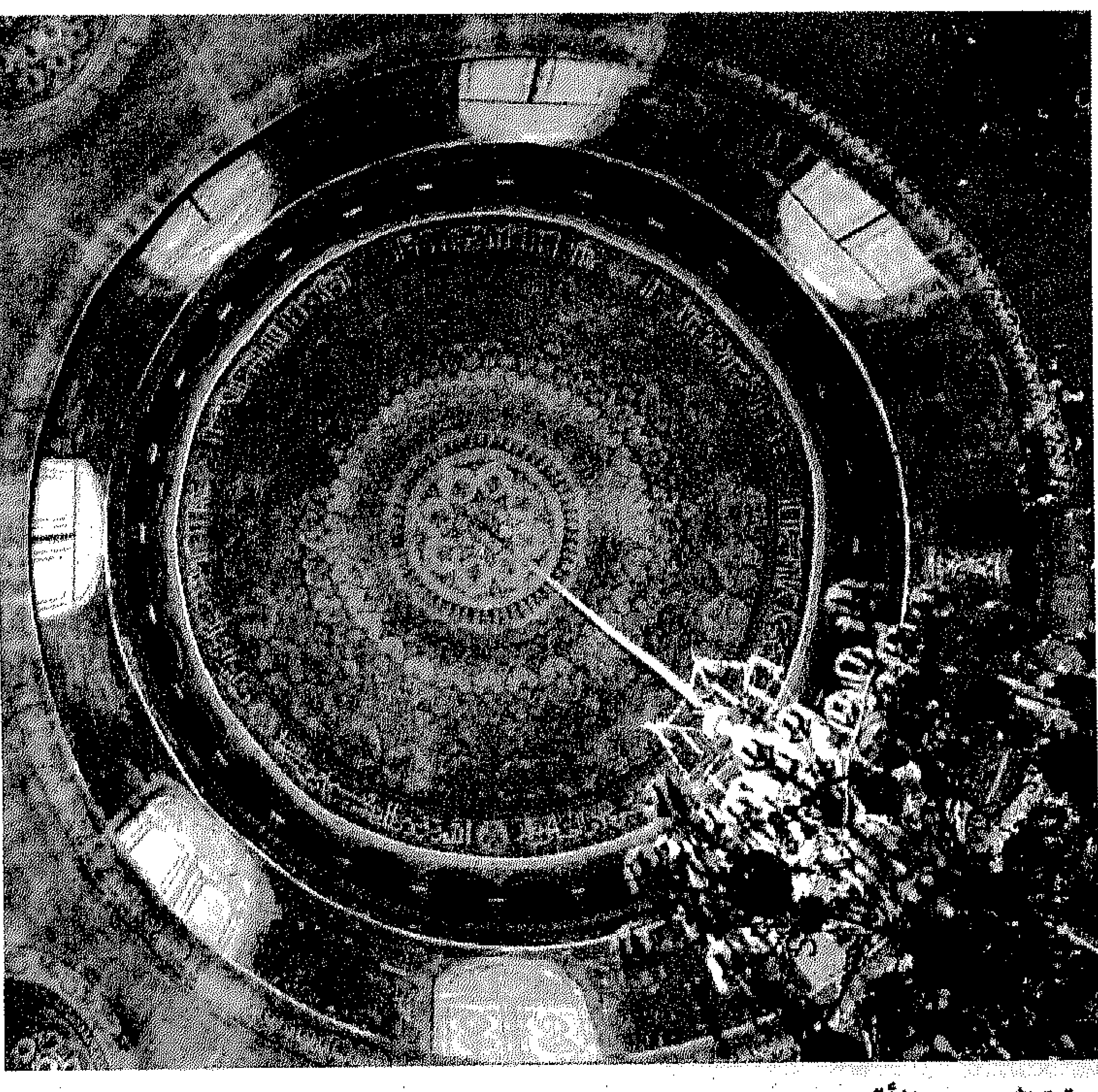
بعد استيلاء الصليبيين على القدس عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، جعلوا قسمًا من المسجد الأقصى كنيسة وحولوا القسم الآخر إلى مسكن لفرسان الهيكل ومستودع لذخائرهم.



المسجد الأقصى



المسجد الأقصى من الداخل



قبة المسجد الأقصى

ومع استرداد صلاح الدين لبيت المقدس أعاد إصلاح المسجد الأقصى وكسا قبته بالفسيفساء وهي مصفحة من الخارج بالرصاص، كما زوَّد المسجد بمنبر من الخشب مُطعَّم بالعاج واللؤلؤ أتى به من مدينة الشهباء – وقد وضع على يمين المحراب– وهو المنبر الذي احترق خلال الحريق المدبَّر الذي نفذه يهودي موتور في عام ١٩٦٨م، ووراء المنبر أثر قدم السيد المسيح، وفي جانبه الجنوبي محراب باسم زكريا تذكارًا لاستشهاده بين الهيكل والمذبح، وقد أطلق على جزء من تلك الجهة من الجامع الأقصى "جامع الأربعين شاهدًا"، ثم توالت أعمال التجديد والإضافات على المسجد الأقصى خلال عصور ملوك بني أيوب والمماليك وسلاطين بني عثمان، وأنشئت فيه أروقة، وعُمِّر سقفه وصُفِّح بالفسيفساء والرخام وفرشت أرضه بالسجاد العجمي، ووصلت مساحته إلى ٤٤٠٠ متر مربع، وتحمل عقود أروقته ٥٣ عمودًا من الرخام و٤٩ دعامة مربعة الشكل، وترتكز قبته الشهيرة على ثمانية أعمدة، كذلك يوجد تحت الأقصى دهليز واسع يسمى الأقصى القديم يتألف من سلسلة من عقود تقوم على أعمدة ضخمة.

مهد عيسى

بني مهد عيسى في نفس الفترة التي بنيت فيها قبة الصخرة والمسجد الأقصى، يوجد بهذا المكان قبة صغيرة تقوم على أربعة أعمدة، يوجد أسفلها حوض حجري يقال إنه مهد عيسى عليه السلام، وأمام هذا الحوض محراب حجري بسيط، يذكر أنه كان مكان تعبد مريم عليها السلام، وفي الجدار الجنوبي يوجد باب حديدي يؤدي إلى إسطبل سليمان، وتخطيط هذا المكان مربع الشكل، فُرشت أرضيته بالبلاط الحجري ويمثل جداره الشرقي الزاوية الشرقية لسور القدس وسور الحرم الشريف.

إسطبلات سليمان

تقع الإسطبلات شرقي المسجد الأقصى المبارك، أسفل مستوى الساحة الخارجية، وهو عبارة عن أقبية واسعة مرتفعة قائمة على ثلاثة عشر صفًّا من القناطر المبنية بالحجارة الكبرى، وهي كبيرة المساحة، ويطلق

عليها إسطبلات سليمان، ولعلها استخدمت لهذا الغرض في زمن الصليبيين، ومن أسلوب بنائها يستدل على أنها ترجع إلى القرن السادس الميلادي، ويطلق عليها المسلمون "المسجد القديم"، كما أطلقوا عليها التسوية الشرقية، وبعد ترميمها (١٩٩٤/ ١٩٩٨م) أطلقوا عليها المصلى المرواني.

قبة سليمان

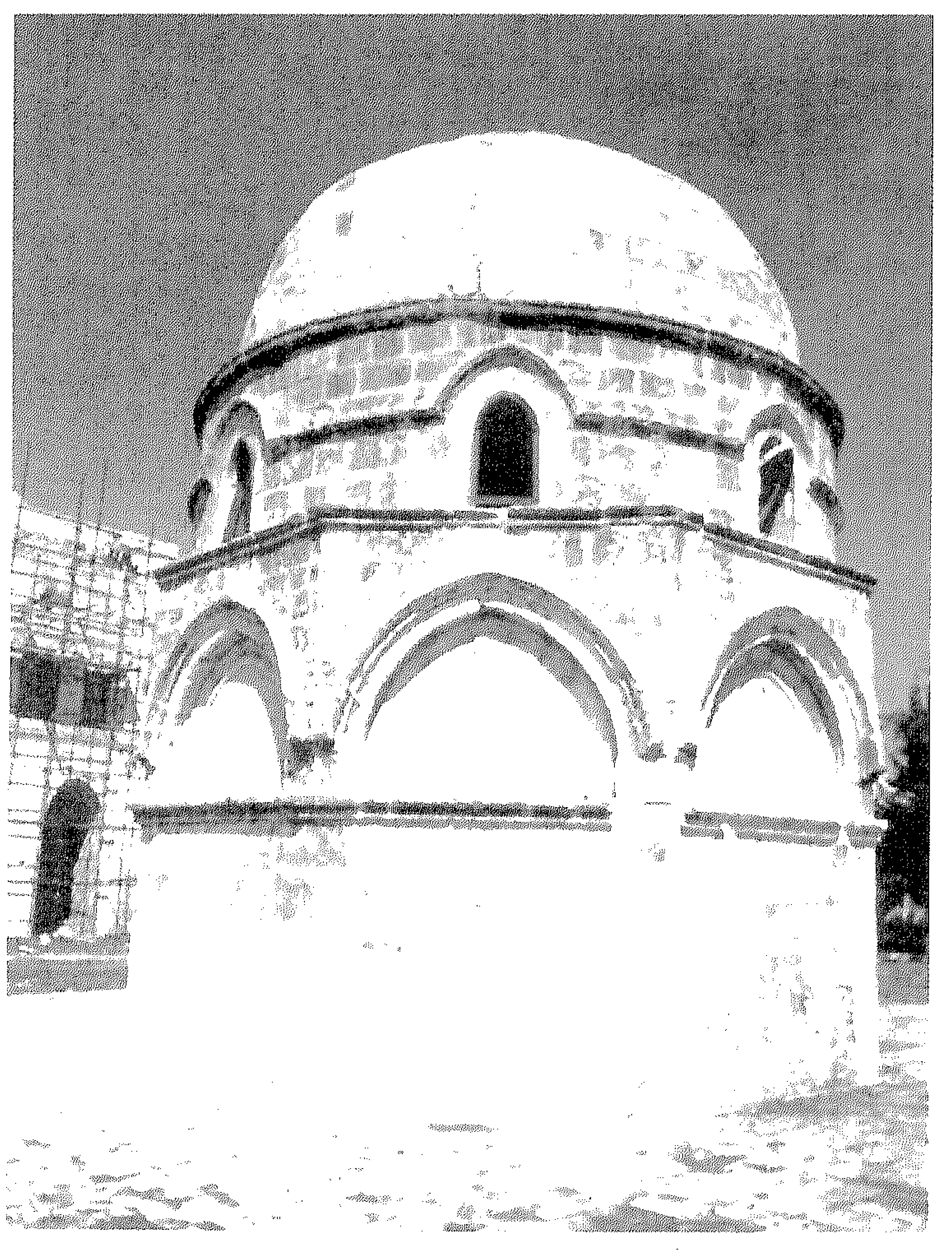
يُرْجِع بعض مؤرخي العمارة تاريخ إنشاء هذه القبة إلى العهد الأموي، بينما يرجعها البعض الآخر إلى العصر الأيوبي، ويرجح أنها أقيمت لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج، وتخطيطها مثمن يحيط به أربعة وعشرون عمودًا من الرخام تحمل عقودًا مدببة، شيدت رقبة القبة على شكل أسطواني، فتحت بها ثماني نوافذ معقودة للإضاءة، تعلوها خوذة القبة وهي حجرية، بداخل هذه القبة صخرة ثابتة، ربما ساد الاعتقاد بأنها كانت جزءًا من الصخرة المشرَّفة.

قبة يوسف أغا

أنشأ هذه القبة الوالي التركي على القدس "يوسف أغا" عام ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م، وتتكون من قبة ضحلة بنيت على مساحة مربعة شيدت بمداميك من الأحجار المشذبة، فتحت ثلاثة من جوانبها الأربعة، أما الجانب الرابع فهو مغلق.

الكأس

يقع بين مسجدي قبة الصخرة والأقصى، وتحديدًا في مقابلة الدرج المؤدي من قبة الصخرة إلى المسجد الأقصى في الطرف الجنوبي للحرم الشريف، بناه السلطان العادل



قبة سليمان



الكأس

أبو بكر بن أيوب، جدده الأمير تنكز الناصري في عهد السلطان قايتباي ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م.

يتكون الكأس من حوض رخامي مستدير، في وسطه نافورة يخرج منها الماء ويسقط في البحيرة الرخامية التي يحيط بها سياج معدني دقيق الصنع، ويحيط به صف دائري من المقاعد الرخامية أمام كل منها صنبور ماء يجري إلى الكأس في سواقٍ تحت الأرض مغطاة بالحجارة.

سبيل شعلان

يقع بالجانب الغربي من الحرم القدسي الشريف، أنشأه الملك المعظم عيسى عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، ويتكون هذا السبيل من مساحة مربعة بنيت من الحجارة بداخلها "بئر الماء" والبناء مغطى بسقف مستوٍ.

قبة الخضر

تقع هذه القبة بالقرب من المرقى المؤدي إلى صحن قبة الصخرة، وتقوم على ستة أعمدة رخامية تحمل عقودًا مدببة، شكلها مسدس من الخارج.

قبة موسى

تقع هذه القبة بالقرب من البائكة الجنوبية الغربية داخل الحرم القدسي، أنشأها الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل عام ٧٤٧هـ/ ١٢٤٩م.

وهي عبارة عن بناء مربع فتحت به نوافذ للإضاءة، بها عدد من المحاريب من الداخل والخارج، يغطي هذا البناء خوذة القبة المثمنة، وكانت هذه القبة تستعمل كمدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.

قبة المدرسة النحوية

أنشأها الملك المعظم عيسى الأيوبي عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، وقد خصصها لتدريس العلوم العربية، وفي

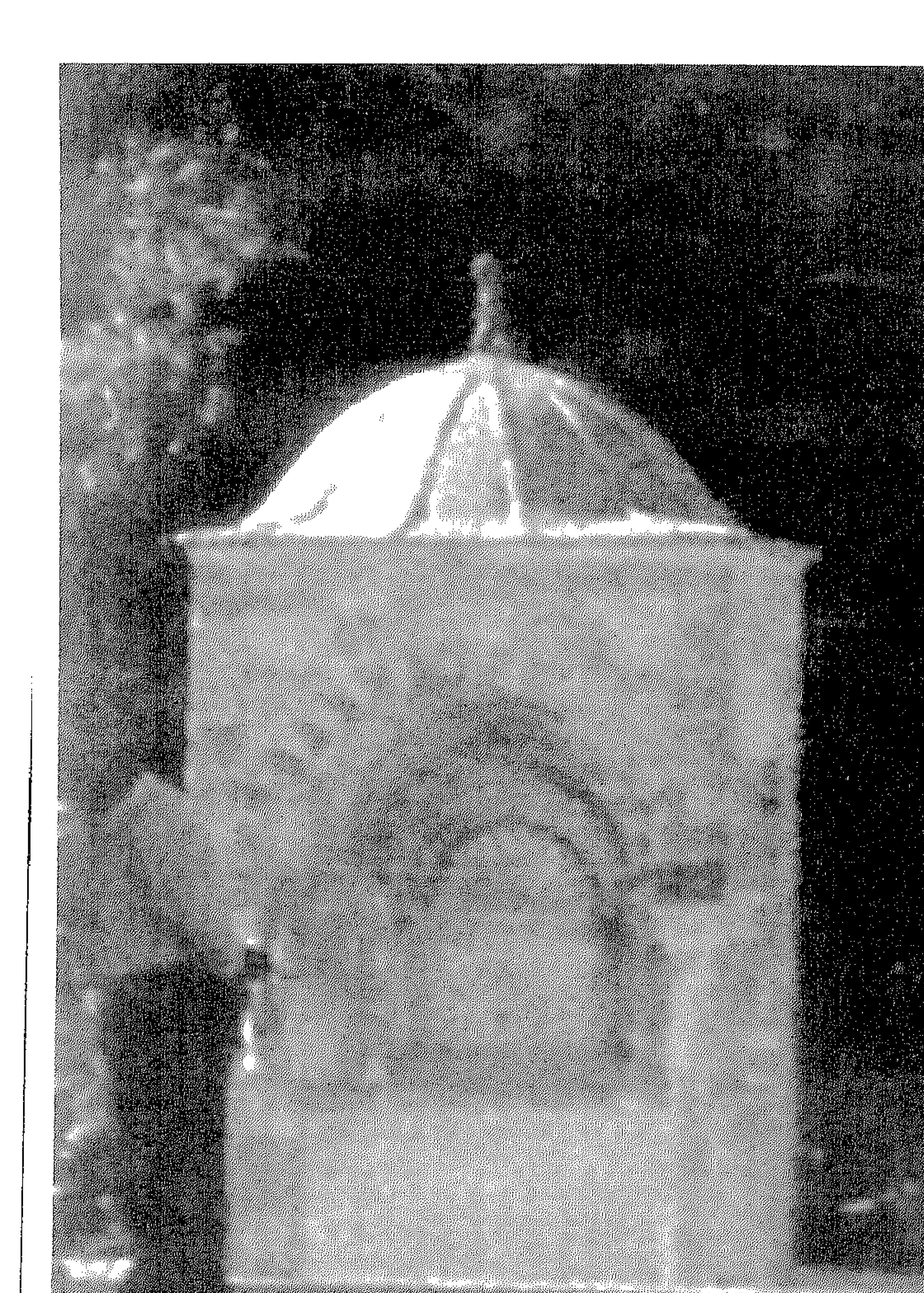


قبة الخضر

مقدمتها النحو، وقد ظلَّت القبة تقوم بوظائف تدريس النحو حتى القرن ١٢هـ/ ١٨م.

قبة يوسف

تقع قبة يوسف داخل الحرم القدسي الشريف إلى الجنوب من فناء الصخرة بين قبة المدرسة النحوية ومنبر برهان الدين، أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، ويغلب الظن أن صلاح الدين قام بتأسيسها عوضًا عن أخرى قديمة هدمها الصليبيون أثناء احتلالهم للقدس، وربما كانت هذه القبة تعرف باسم "قبة جبرائيل"، كما يرجح أنها سميت بقبة "يوسف" الذي هو "صلاح الدين".



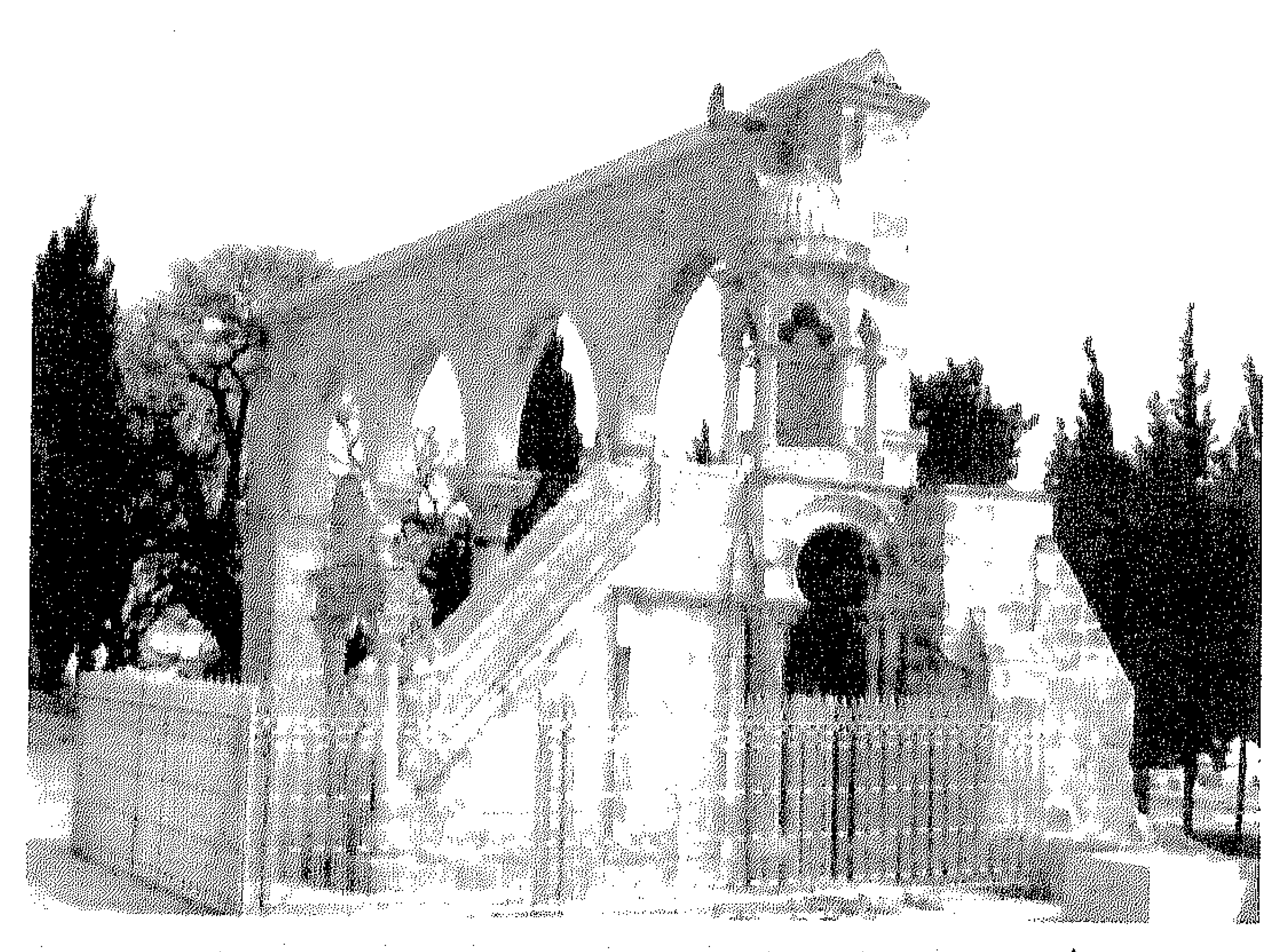
قبة يوسف

وتخطيط هذه القبة عبارة عن بناء مربع تعلوه قبة تتألف قاعدته من عمودين رخاميين وجدار واحد في ناحية القبلة أي أنها عبارة عن ثلاثة عقود مفتوحة وجدار مسدود، بوسط هذا الجدار حنية تشبه المحراب المجوف.

بأعلى بناء القبة نقشان كتابيان أحدهما يعود إلى العهد الأيوبي، والثاني يعود إلى العهد العثماني.

منبر برهان الدين

يقع في صحن قبة الصخرة، بناه قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، في عهد



منبر برهان الدين

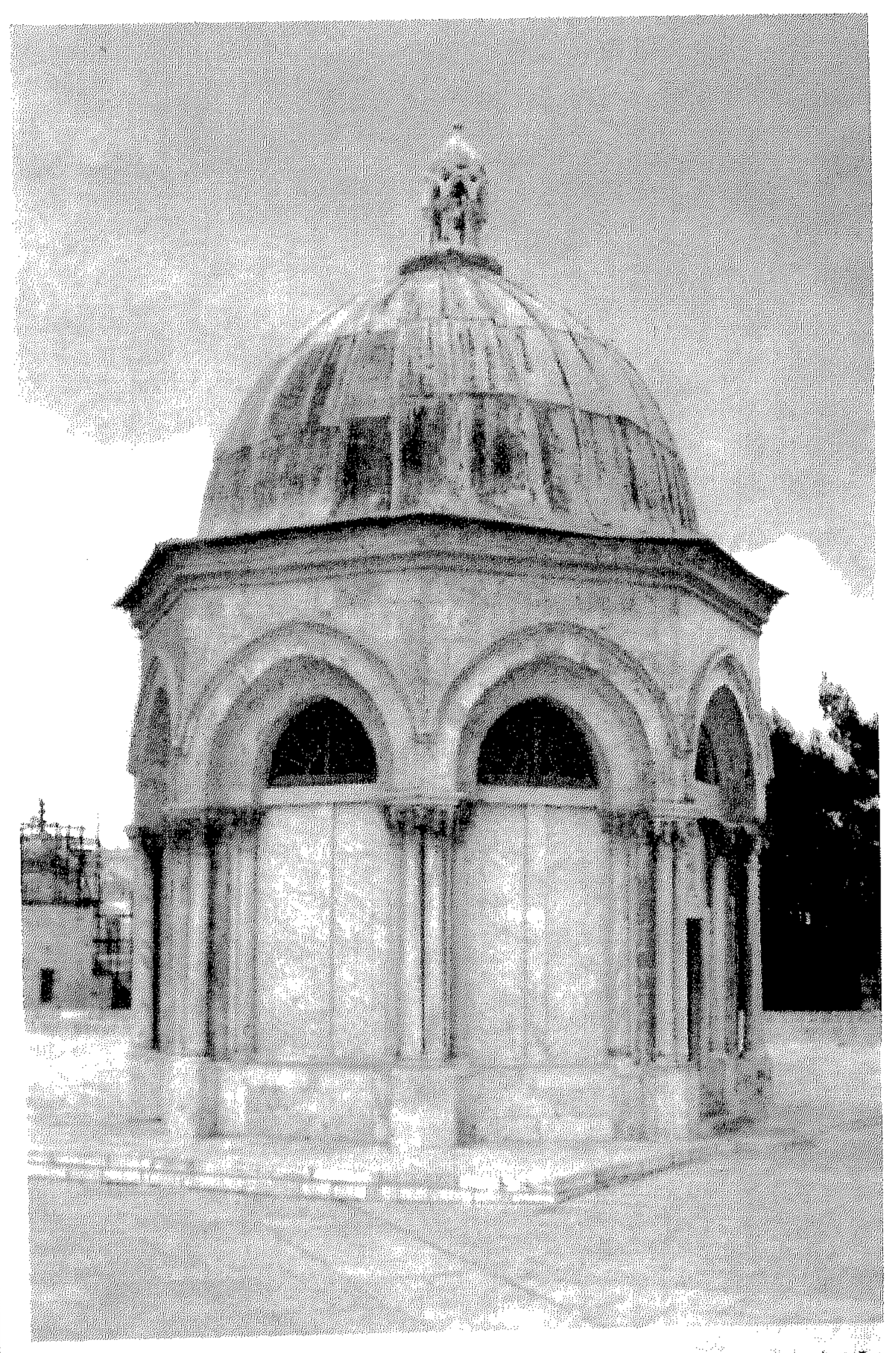
السلطان الناصر محمد، يحيط بمدخل هذا المنبر الحجري عمودان رخاميان يحملان عقدًا حجريًّا، ويؤدي المدخل إلى ريشتين لهما درابزين حجري، بينهما درجات سلم حجري، تنتهي إلى جلسة الخطيب التي ترتكز على ثمانية أعمدة رخامية تحمل عقودًا ثلاثية الفصوص، ويُصلى في هذا المكان بالعيدين، وتقام هناك صلاة الاستسقاء.

قبة الأرواح

تقع بالقرب من قبة المعراج، وسُمِّيت بهذا الاسم لوقوعها قرب المغارة المعروفة باسم مغارة الأرواح، وتتكون من قبة تقوم على ثمانية أعمدة تحمل ثمانية عقود مدببة، وهي قبة ضحلة قليلة الارتفاع.

قبة المعراج

تقع قبة المعراج إلى الشمال الشرقي من قبة الصخرة، أنشأها الأمير عز الدين عثمان بن علي الونجلي متولي القدس في عهد السلطان العادل أبي بكر بن أيوب عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، أقيمت تخليدًا لذكرى معراج النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى السماء، ويشار إلى أن القبة الأولى كانت قد شيدت على عهد عبد الملك بن مروان، فقد أشار إلى وجودها الرحالة قبل استيلاء الصليبيين على المدينة وهدمهم لها، وتخطيط

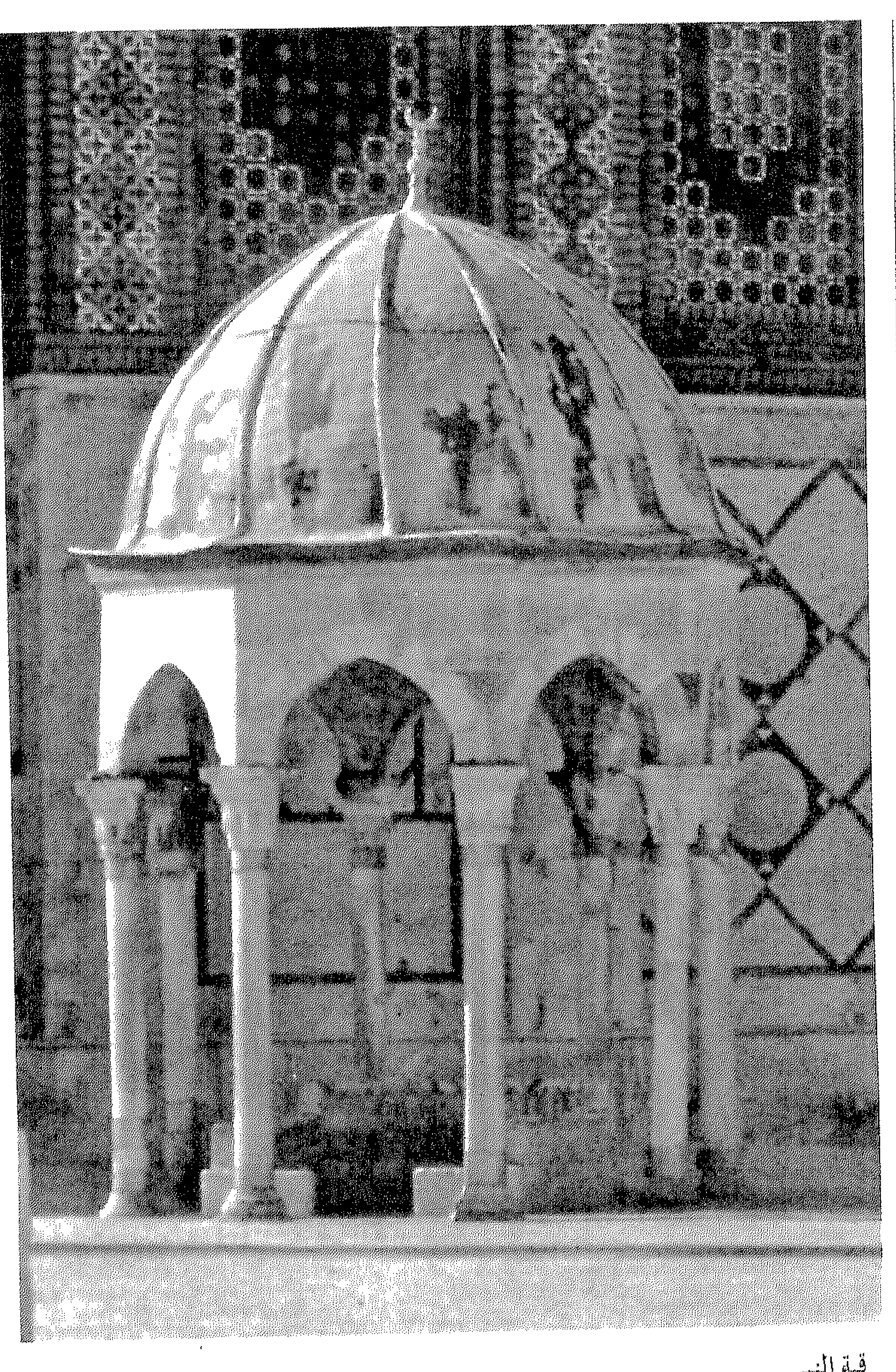


قبة المعراج

هذه القبة مثمن الشكل يزيِّن كل ركن من أركان المثمن أربعة أعمدة مدمجة عدا الجهة الجنوبية التي بها ثلاثة أعمدة فقط، تحمل هذه الأعمدة عقودًا مدببة سُدت فتحاتها بالرخام عدا ضلع الجهة الجنوبية، فقد شُيِّد به محراب حجري، يقابله باب الدخول إلى القبة في الجهة الشمالية، يعلو منطقة انتقال المثمن إلى دائرة القبة الخشبية وهي مغطاة بالرصاص.

قبة النبي

تقع قبة النبي بين بناء قبة الصخرة وقبة المعراج، أمر بتشييدها محمد بك أحد ولاة القدس عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، صاحب لواء غزة والقدس الشريف، وتتكون من ثمانية

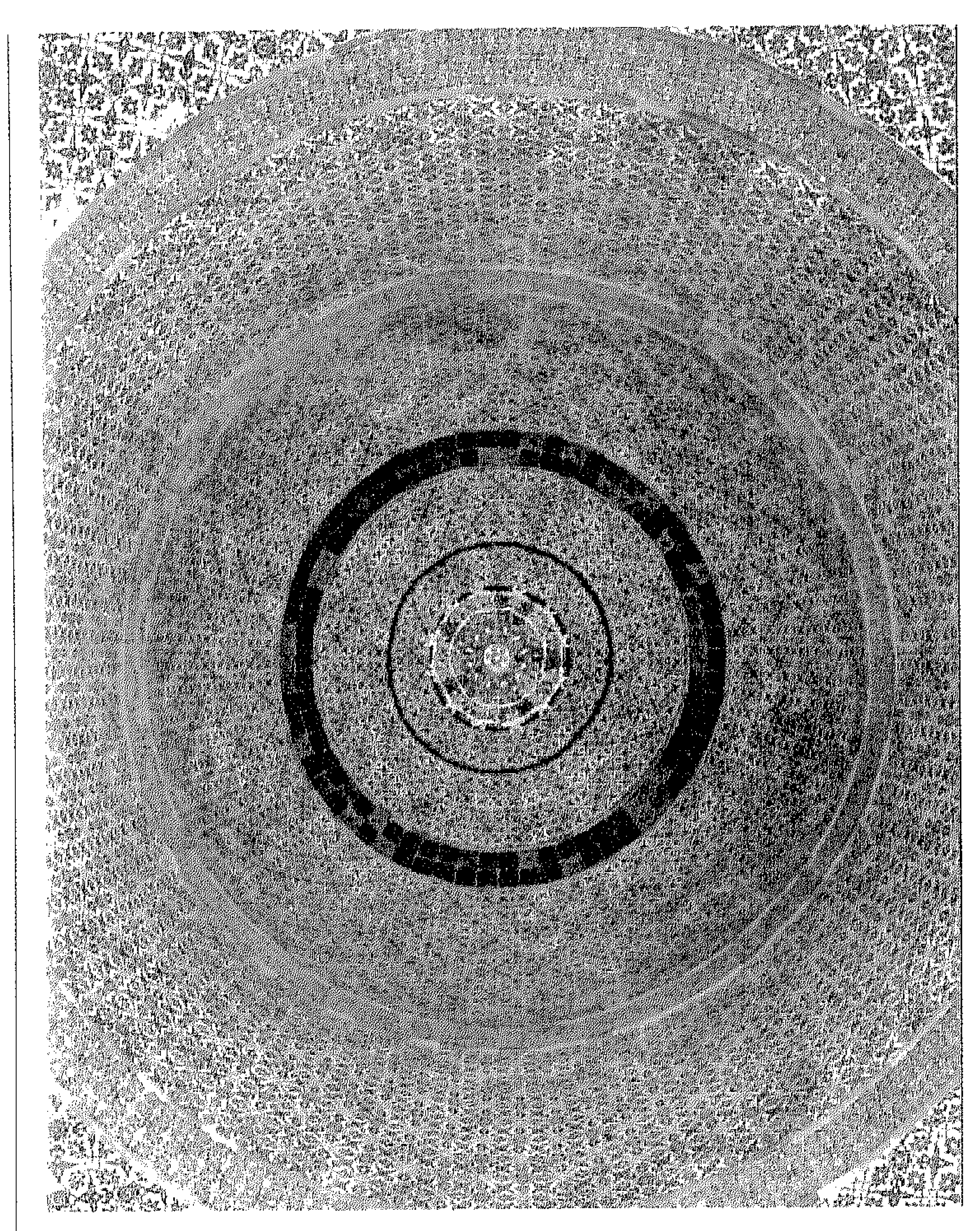


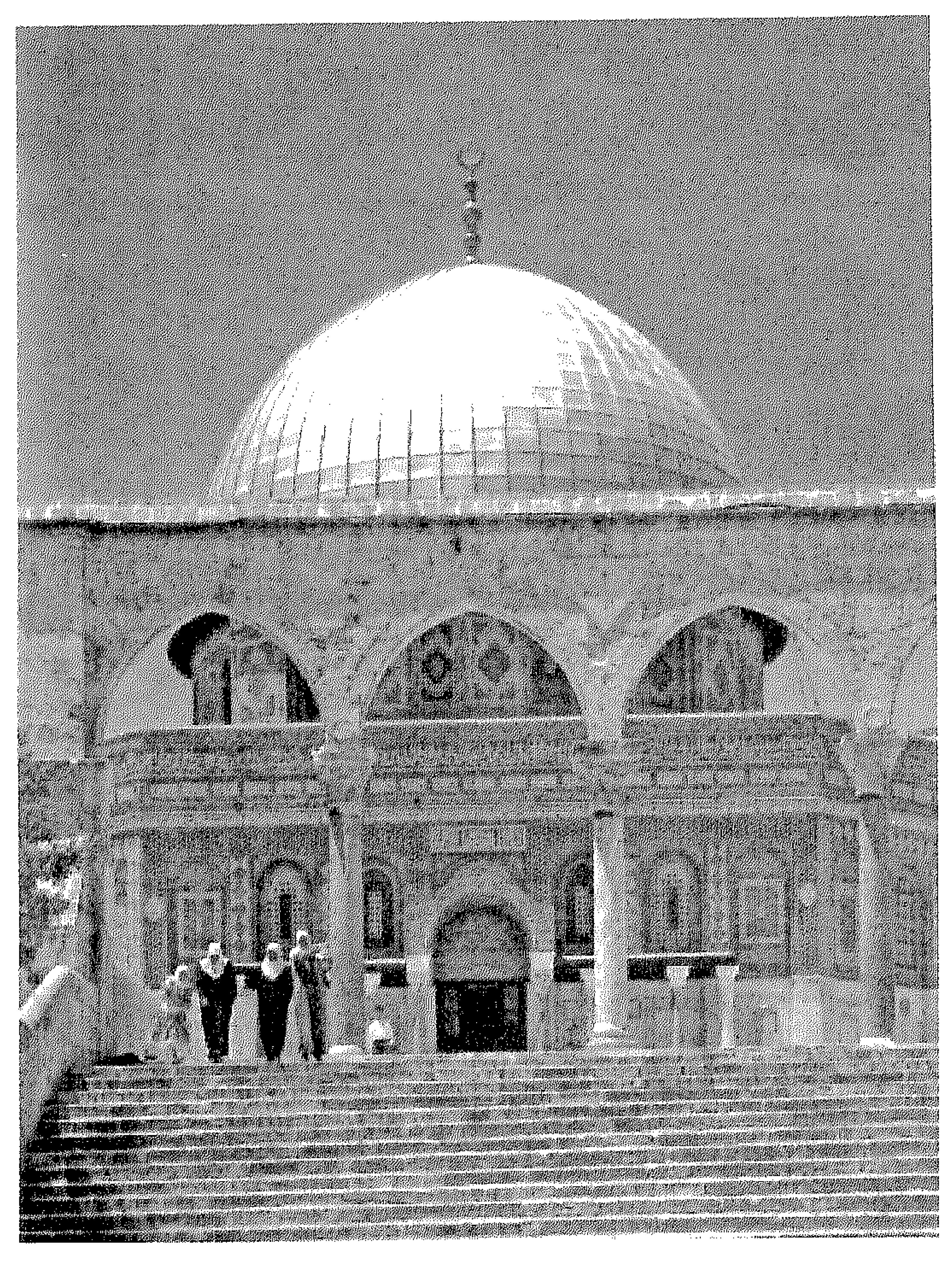
قبة النبي

أعمدة رخامية تحمل ثمانية عقود مدببة أنشأها السلطان عبد الحميد بن محمود الثاني عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م.

قبة السلسلة

تقع شرقي قبة الصخرة داخل الحرم القدسي، أنشأها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ/ ٦٩٢م، سُميِّت بقبة السلسلة لاحتوائها على سلسلة يمسها المتقاضون، ولأن هذه السلسلة حليف كل صادق في القول ولأنها تبتعد عن كل من كذب، وتربط هذه الروايات بين هذه السلسلة وتلك التي كان يتخذها نبي الله داود لحسم النزاع بين الخصوم في مجلسه للقضاء.


قبة السلسلة


قبة الصخرة

وتخطيط هذه القبة سداسي الشكل يتكون من الداخل من ستة أعمدة تحمل العقود التي ترتكز عليها رقبة القبة، والقبة مكسوة ببلاطات من القاشاني بعد ترميمها في عهد السلطان سليمان القانوني في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

قبة الصخرة

تقع قبة الصخرة في قلب الحرم القدسي الشريف؛ حيث يحدها الجدار الشرقي للحرم، تعد قبة الصخرة أقدم معلم من معالم الحضارة الإسلامية، وهي تشكل أعلى بقعة في الحرم الشريف، أنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان خلال عامي (٦٩١-٦٩٢م) فوق صخرة المعراج المشرفة، التي يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى إليها وعرج منها إلى السماء في ليلة الإسراء والمعراج.

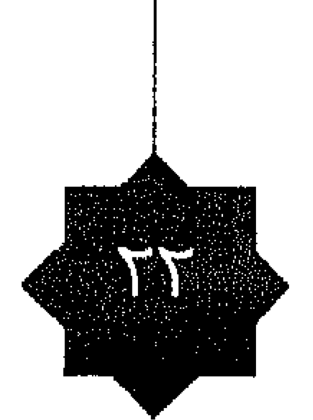
الصخرة عبارة عن قمة صخرية بارزة أعلى جبل "ألموريا"، وسطح هذا الجبل هو الحرم القدسي الشريف، وهي ترى من مسافات بعيدة، وهي مبنية فوق صخرة مقدسة، حولها ممران يدوران حولها بمسقط مثمن، شامخة في الهواء في مركز الحرم القدسي.

كان الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" أول من فكر في حماية الصخرة المشرّفة من حرارة الشمس والمطر، حيث أمر بإنشاء مظلة من الخشب فوقها، حتى جاء الخليفة عبد الملك بن مروان وأنشأ القبة فوق الصخرة.

أما عن تخطيط قبة الصخرة فجاء على هيئة مثمن خارجي به أربعة مداخل محورية، ومن الداخل تتخذ أيضًا شكل مثمن يوازي الجدران الخارجية إلا أنه مكون من ثماني دعائم يفصل كل دعامتين عمودان من الرخام، يلي

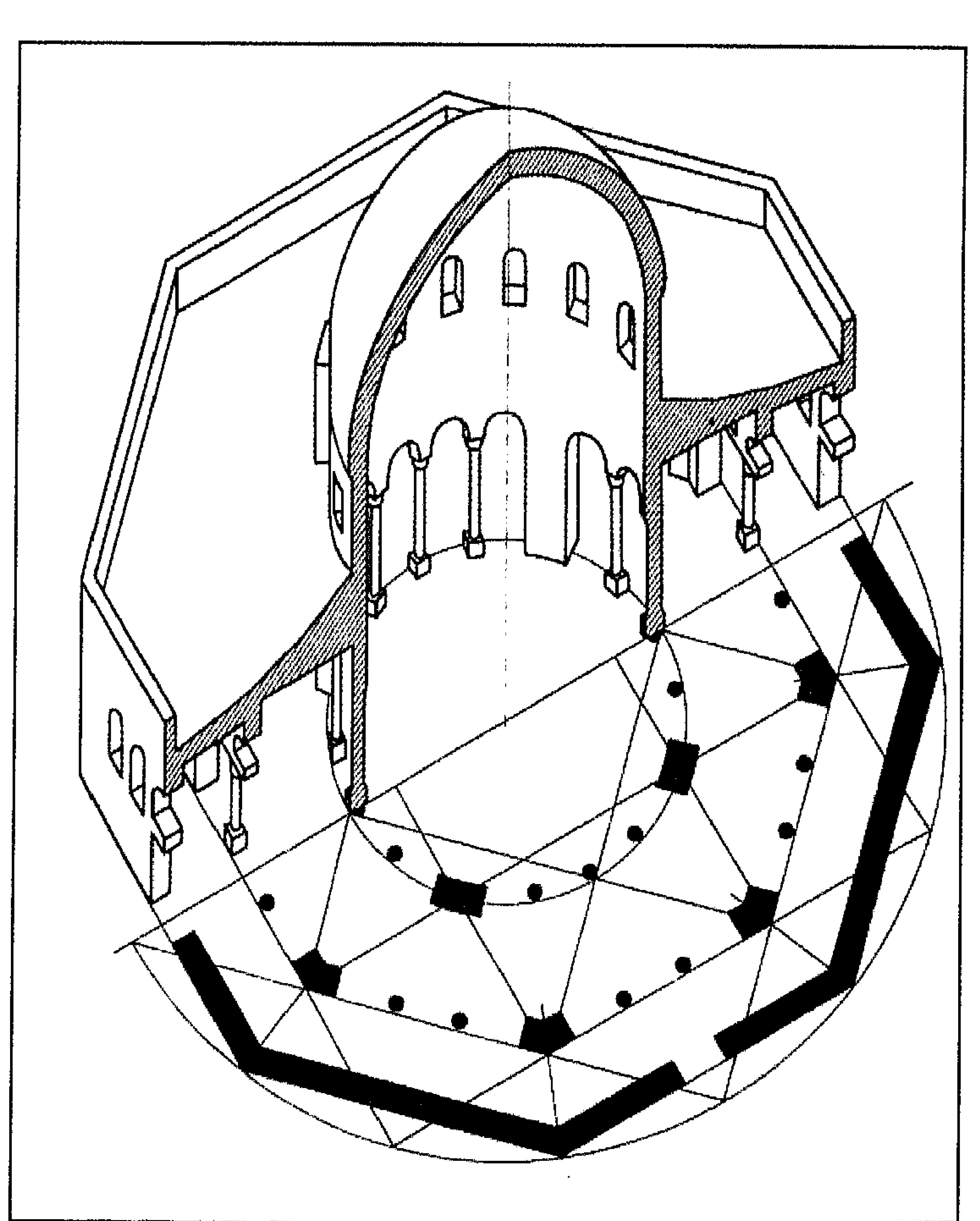
N

مسقط لقبة الصخرة



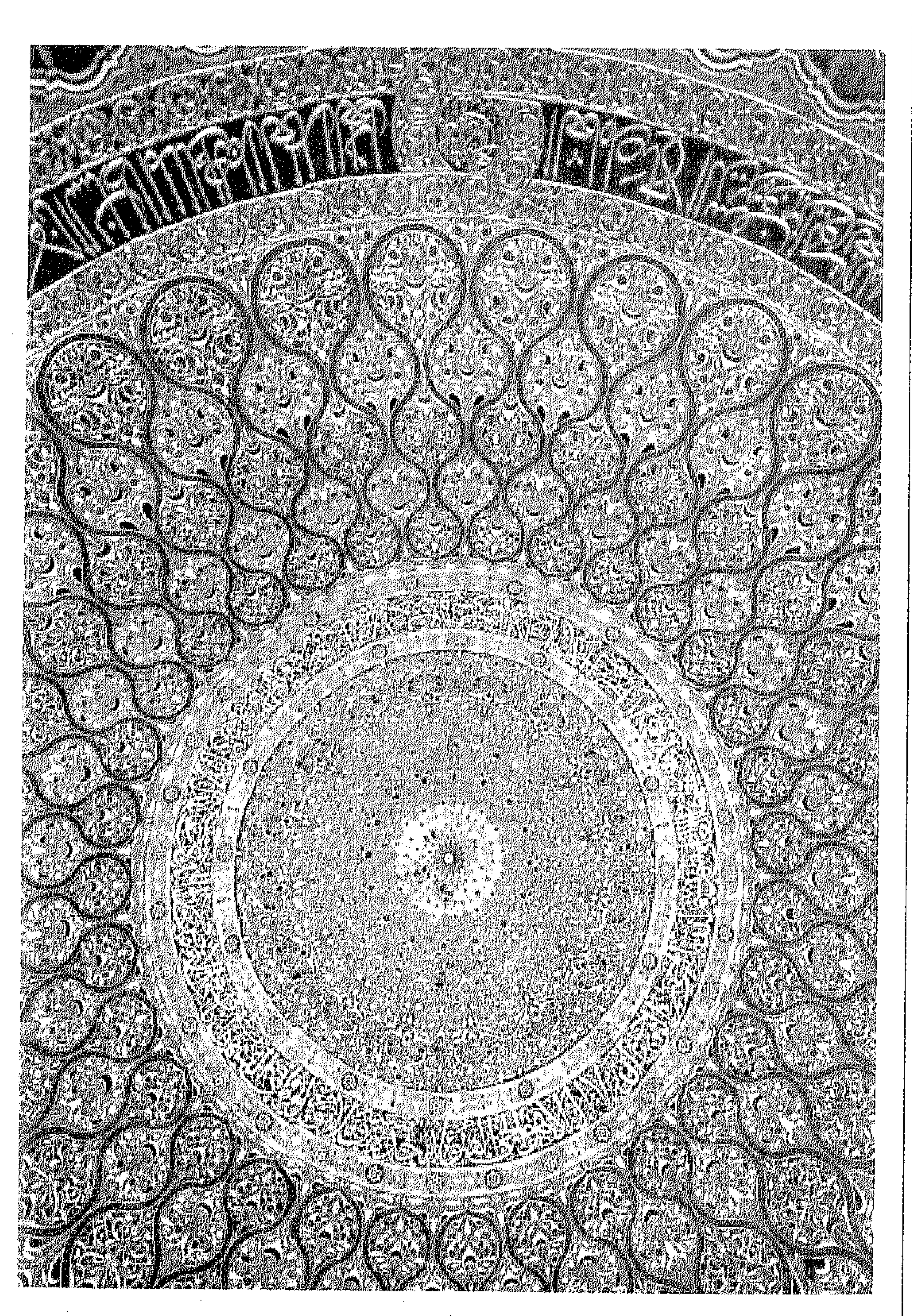
ذلك منطقة دائرية تتكون من أربع دعائم بين كل اثنتين منها ثلاثة أعمدة، تحمل هذه الدعائم ستة عشر عقدًا، تحمل العقود بدورها رقبة القبة التي تحمل خوذة القبة.

وهذه القبة ذات التصميم الهندسي الذي يصل لحد الكمال والروعة كانت مزخرفة بالفسيفساء على كل سطوحها داخلاً وخارجًا، وكانت وما زالت تبهر الرائين حتى إن كثيرًا منهم لم يملكوا أنفسهم من إضفاء كل صفات البريق واللمعان عليها، مهملين في الوقت نفسه، للأسف، أن يخبرونا ماذا كانت تلك اللوحات الفسيفسائية تمثل، ولا نستطيع أن نحكم على موضوعات فسيفساء القبة حكمًا كليًّا لأن جزءًا كبيرًا من الفسيفساء الأموية فُقِد، ولكننا نملك بعض الشواهد على هذه الموضوعات من فسيفساء الرواق المثمن الداخلي، يمكن الانتهاء إلى رمزيتها السياسية عند ربطها بدقة عمارة القبة.



قطاع في قبة الصخرة

ومخطط القبة ليس غريبًا بالدرجة التي يبدو بها اليوم، فيرى بعض المستشرقين وعلماء الآثار العرب أن تخطيط قبة الصخرة ذو أصل روماني يعرف بمخطط ضريح الشهيد، وهو عبارة عن مخطط مركزي يتحلق حول بؤرة مهمة كضريح عظيم أو تمثال إله ليتمكن الزوار من الطواف حوله، وظيفته إذن طقوسية طوافية، وهو لهذا السبب استعمل في الفترة المسيحية المبكرة في بلاد الشام، وفي مجمل الأراضي البيزنطية، وفي عمارة العديد من الكاتدرائيات المهمة؛ ككاتدرائية بصرى في حوران التي ما تزال بقاياها قائمة إلى اليوم، وكنيسة القيامة في القدس نفسها، وهما الاثنتان تعودان إلى فترة الحكم البيزنطي في عهد جوستينيان (حكم ٥٢٧– ٥٦٥ م).



زخارف قبة الصخرة

ولكن قبة الصخرة أكثر هذه المخططات توازنًا هندسيًا، وهي من دون أي شك قد قصد بها التمايز والتنافس مع قبة قبر المسيح في كنيسة القيامة التي تطل عليها من أعلى جبل ألموريا، ويرى الدكتور فريد شافعي أن تخطيط قبة الصخرة لا يطابق أي تخطيط لنماذج العمائر البيزنطية في منطقة بلاد الشام أو في غيرها، بل هو تحوير واقتباس منها ليتفق مع الغرض الذي شيد من أجله البناء، وهو أن يحيط بالصخرة، وهي البقعة المباركة التي عرج منها محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء حين أسرى به ربه من مكة المكرمة إليها، ولذا فقد روعي في التخطيط أن يوفر غرض تعيين تلك البقعة، ثم غرض الطواف حولها للتبرك بها وهو أمر يختلف تمامًا عن الذي شيدت من أجله تلك العمائر الدينية البيزنطية ذات التخطيطات المشابهة التي عادة ما توجه نحو الحنية، ولا تتعدد فيها المداخل كما تعددت في قبة الصخرة، ومهما يكن من أمر، فإن تخطيطات تلك العمائر الدينية البيزنطية ليست ابتكارات بيزنطية

زخارف السقف في قبة الصخرة

أو سورية، بل كانت في الأصل تخطيطات رومانية دينية سابقة، أخذت بدورها من أصول إغريقية.

وتعد فسيفساء قبة الصخرة من الناحية الحرفية امتدادًا للفسيفساء البيزنطية في بلاد الشام والدولة البيزنطية، ولها العديد من الأمثلة في كنائس بلاد الشام والعاصمة: القسطنطينية، وأشهرها آيا صوفيا، وكنائس سالونيكا الإغريقية، غير أن فسيفساء قبة الصخرة ذات موضوعات معقدة في أصولها وكيفية اختيارها ومعانيها، فعلى خلاف النماذج البيزنطية التي تتشارك وإياها في التقنية، تركز لوحات قبة الصخرة على الموضوعات المحورة عن الطبيعة، وتحصرها بالكتابات القرآنية والتسجيلية وبالتوريق والزخارف النباتية، بعض الأشكال الغامضة اليوم، والتي ربما تكون تحويرًا لتيجان ملوك ومستلزمات وظيفتهم من صولجانات ومجوهرات وما شابهها.

إننا هنا أمام تساؤلات عديدة تطرح نفسها حول هذا المبنى ورمزيته، إن التوجهات السياسية والإعلامية والعَقَدية تبرز في الآيات القرآنية المختارة بدقة، وفي تركيز وضع صور تيجان الملوك في الرواق حول القبة وبمواجهتها؛ فالنص القرآني يحتوي على كل الآيات التي تتكلم عن المسيح في موقعه الإسلامي المختار كنبي مرسل، والتيجان تبدو أشبه ما يكون بالتيجان الحقيقية للملوك المغلوبين، التي كان أباطرة الرومان والبيزنطيين يضعونها في معابدهم وكنائسهم كعلامات نصر ورمز إيمان بأفضلية معتقدهم، وبالتالي يمكن هنا أن ننظر إلى هذين العنصرين الزخرفيين على أنهما بالنسبة لبناة قبة الصخرة وسيلتا دعاية لدينهم ولدولتهم المنتصرَين، خصوصًا إذا تذكرنا أن قبة الصخرة قد بنيت في القدس التي كان أغلب سكانها المسيحيين مازالوا يدينون بالولاء لإمبراطور القسطنطينية البيزنطي، في وقت كانت الدولة الأموية فيه في خضم صراع مرير مع البيزنطيين في شمال بلاد الشام.

فالقبة مبنى معماري ذو رمزية سياسية ينبئ في القدس عن رغبة الدولة الأموية في بث حضارة جديدة تعبر عن أتباع الدولة المقيمين في المدينة، ويوجه رسالة إلى الآخرين عن مدى قوة الدولة ومضمون رسالتها، وظلت قبة الصخرة بلونها الذهبي، رمزًا لمدينة القدس، يعلوها الهلال الذي يوازي اتجاه القبلة، وعندما استولى الصليبيون على القدس نزعوا الهلال من فوق قبة الصخرة، وأقاموا مكانه صليبًا من الذهب، وعندما استرجع صلاح الدين القدس مرة أخرى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م تسلّق بعض المسلمين القبة واقتلعوا الصليب، وأعادوا الهلال إلى مكانه؛ هكذا شكّل الموقع الذي شيدت عليه قبة الصخرة جانبًا من الرمزية السياسية.

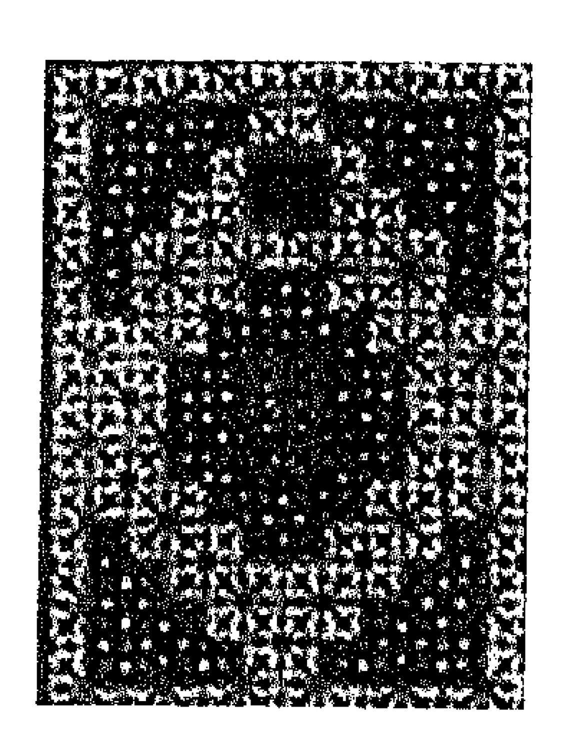
وإذا كان للقباب في بعض استخداماتها رمزية سياسية مباشرة أو غير مباشرة، فقد استخدمت أيضًا للتعبير عن مقر الحكم أو العرش بصورة صريحة، فقد كان يعلو قصر الإمارة في دمشق قبة خضراء أعطت القصر اسمه، كما قام الحجاج بتقليد سادته بإقامة قبة خضراء لدار الإمارة في واسط، وكان يعلو قاعة العرش أو الحكم بقصر الذهب في بغداد قبة كبيرة خضراء على رأسها تمثال فارس بيده رمح يعبر عن قوة الدولة وبطشها في مواجهة أعدائها، وفي سامراء تميزت الدار الخاصة بالخليفة المعتصم بجناح قاعة العرش المؤلف من قاعة مربعة مركزية مسقوفة بقبة، واستخدمت القبة الخضراء كذلك لتسقيف دار العدل في قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، التي شيدها الناصر محمد بن قلاوون لتكون مقرًا لنظر المظالم ولاستقبال السفراء وكذلك للعرش المملوكي، ومقرًا للاحتفالات الرسمية، هكذا كان للقبة مدلول رمزي منذ فترة مبكرة في تاريخ العمارة الإسلامية.

قائمة المراجع:

- إبراهيم الفقي، طاهر النمري: المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، الشروق، عمان، ٢٠٠١م.
- أحمد الصاوي: القدس "مقدسات لا تمحى وآثار تتحدى"، مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٣م.
- بشير عبد الغني بركات: القدس الشريف في العهد العثماني، القدس.
- خالد عزب: القدس المدينة والتهويد، الدوحة، ١٩٩٦م.
- رائف يوسف نجم: كنوز القدس، منظمة المدن العربية، الكويت، ١٩٨٣م.
- شوقي شعث: القدس العربية الإسلامية، الشارقة، ٢٠٠١م.
- عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- محمد حمزة الحداد: الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٢م.
- يوسف شوقي: قبة الصخرة، مسقط. عمان، ١٩٨٧م.
- Oleg Grabar, Said Nuseibeh, *The Dome of the Rock*, New York, Rizzoli, 1996.
- Marguerti Gauiter Van, *Muslim Jerusalem in the work of Max Van Berchem*, Berchem and Solange ory, foreword by Roger Du Pasquier, Geneve Foundation Max Van Berchem, 1992.
- Mahmoud K. Hawari, *Ayyubid Jerusalem "1187-1250"*, Bar International Series 1628, England, 2007.



منظر عام للحرم الشريف بمسجديه: قبة الصخرة المشرّفة والمسجد الأقصى المبارك



عمارة المسجد الأقصى المبارك

مقدمة **لسعادة أمين بك عبد الهادي**

عضو المجلس الإسلامي الأعلى

للمسجد الأقصى حرمة خاصة، ومكانة مرموقة، ومنزلة رفيعة في نفوس المسلمين، فهو أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشريفين، وإليه يممت الوجوه في فجر الإسلام، واتجهت الأفكار، ورنت الأبصار، وإليه سرى من المسجد الحرام صاحب الرسالة النورانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. "سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ"

ويعتبر المسجد الأقصى من حيث الروعة والجلال والتنسيق والزخرفة والقدسية في طليعة الآثار الإسلامية الرائعة التي تنطق بلسان الحق وسحر البيان عن مبلغ الحضارة الإسلامية والمدنية العربية وما رافقهما من الأمجاد، والمفاخر التي بقيت ذخرًا خالدًا للعروبة والإسلام ودرة في جبين الدهر.

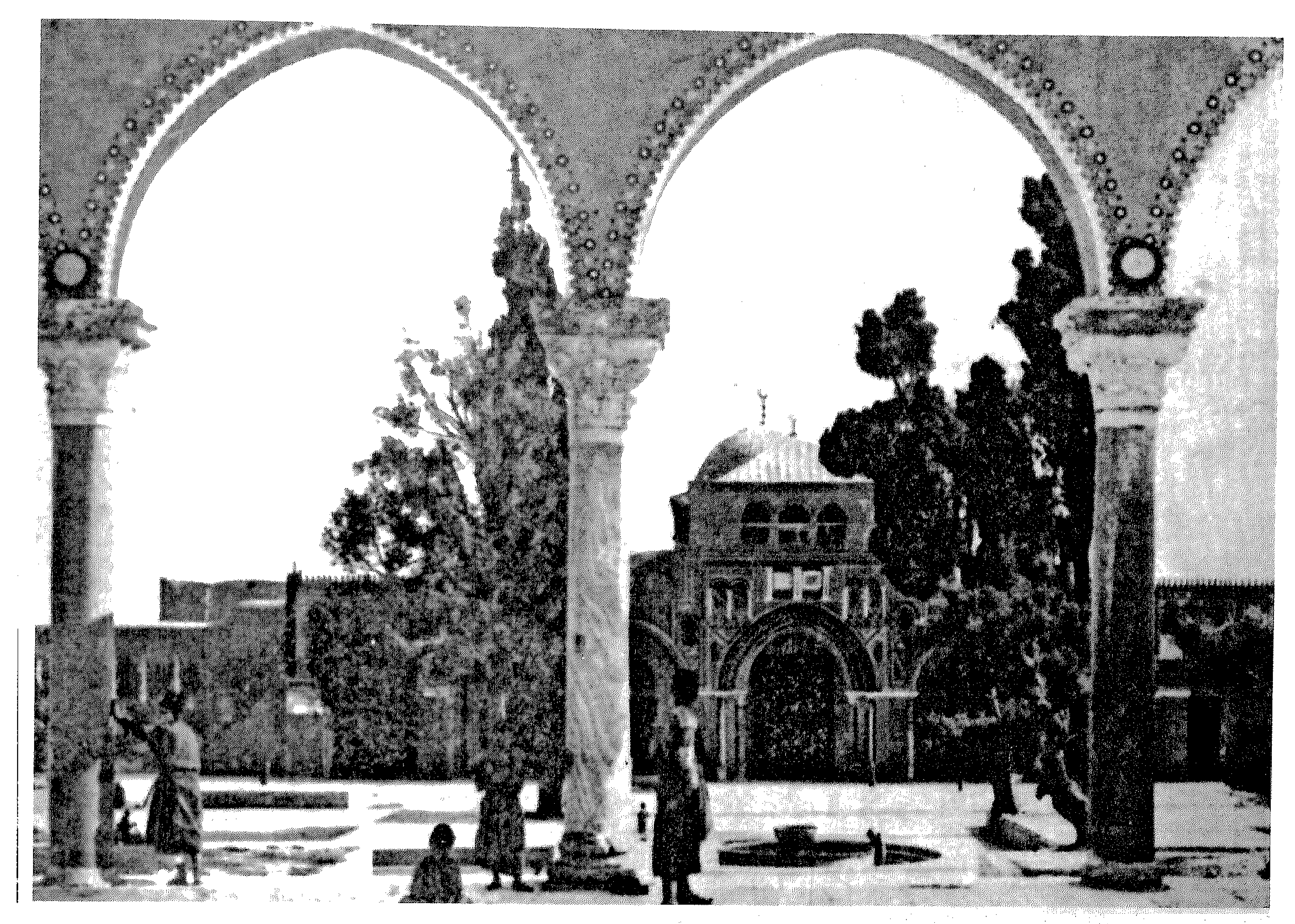
والمسجد الأقصى بمجموعه رسالة إيمان وتقديس وعبادة. فهو مهوى أفئدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ومحط آمالهم وموضع عبادتهم، ترنو إليه العيون وتهفو لزيارته القلوب على الرغم من بعد الدار وشط المزار.

والمسجد الأقصى المبارك استنادًا إلى ما دوّنه المؤرخون يتمتع إلى جانب هذا كله بميزة الرونق والضخامة، والفن بحق مفخرة العمارة الإسلامية ومعجزة من معجزاتها.

لقد مرت على هذه التحفة الرائعة حقب من الزمن جارت فيها الطبيعة على كثير من أقسام المسجد فتصدع بعضها وفقد غيرها شيئًا من أبهة الزخرف وروعة الفن، غير أنه عندما تعاونت الأيدي وتضافرت الهمم أخذ هذا المسجد العظيم يستعيد مكانته وعظمته الخالدة، وبدأ يتربع على عرش الحضارة من جديد.

والحق أن عملاً كهذا لا يحتاج إلى مال فحسب، بل إلى علم واطلاع واسعين على تاريخ العمارة الإسلامية وخبرة تامة في صيانة الآثار، وإنني على يقين بأن البناء الجديد سيأتي يوم تمامه إن شاء الله -وما ذلك اليوم ببعيد- تحفة فنية رائعة وأثرًا يعد مفخرة للقائمين به والساعين إليه، والمشرفين عليه.

ولقد بدأ القسم الأخير من العمارة سنة ١٩٣٨ عندما ظهر تصدع بالغ في أروقة القسم الشرقي والرواق الأوسط من المسجد، فاهتم المجلس الإسلامي الأعلى بهذا الحادث



منظر أخاذ لمدخل المسجد الأقصى قبل البدء بإصلاحه

الجلل اهتمامًا عظيمًا وأتى بخيرة المهندسين لفحص البناء. وكان في مقدمة هؤلاء المرحوم محمود أحمد باشا مدير إدارة حفظ الآثار العربية في القاهرة وصاحب اليد البيضاء على الآثار الإسلامية في القطر المصري الشقيق. وقد قضى زهرة شبابه مجددًا عاكفًا على صيانة التراث الإسلامي الذي ورثناه عن السلف الصالح.

فقد وضع مشروعًا للعمارة اللازمة، ولكن المنية عاجلته دون أن يرى ثمرة جهوده جزاه الله أحسن الجزاء. وقد خلفه في رئاسة تلك الدائرة صاحب العزة عبد الفتاح حلمي بك الذي أشرف بنفسه على سير العمل منذ البدء به وتقدمه، حتى تكلل بالنجاح وأشرف على الانتهاء بعون الله.

وإن الواجب الذي اضطلع به المجلس الإسلامي الأعلى ينطوي على عمل عظيم وبناء صريح كريم ستنطق الأجيال بجلاله وعظيم قدره، وليس ذلك سوى واجب من الواجبات التي أمر بها المولى عز وجل مصدقًا لقوله الكريم... "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ".

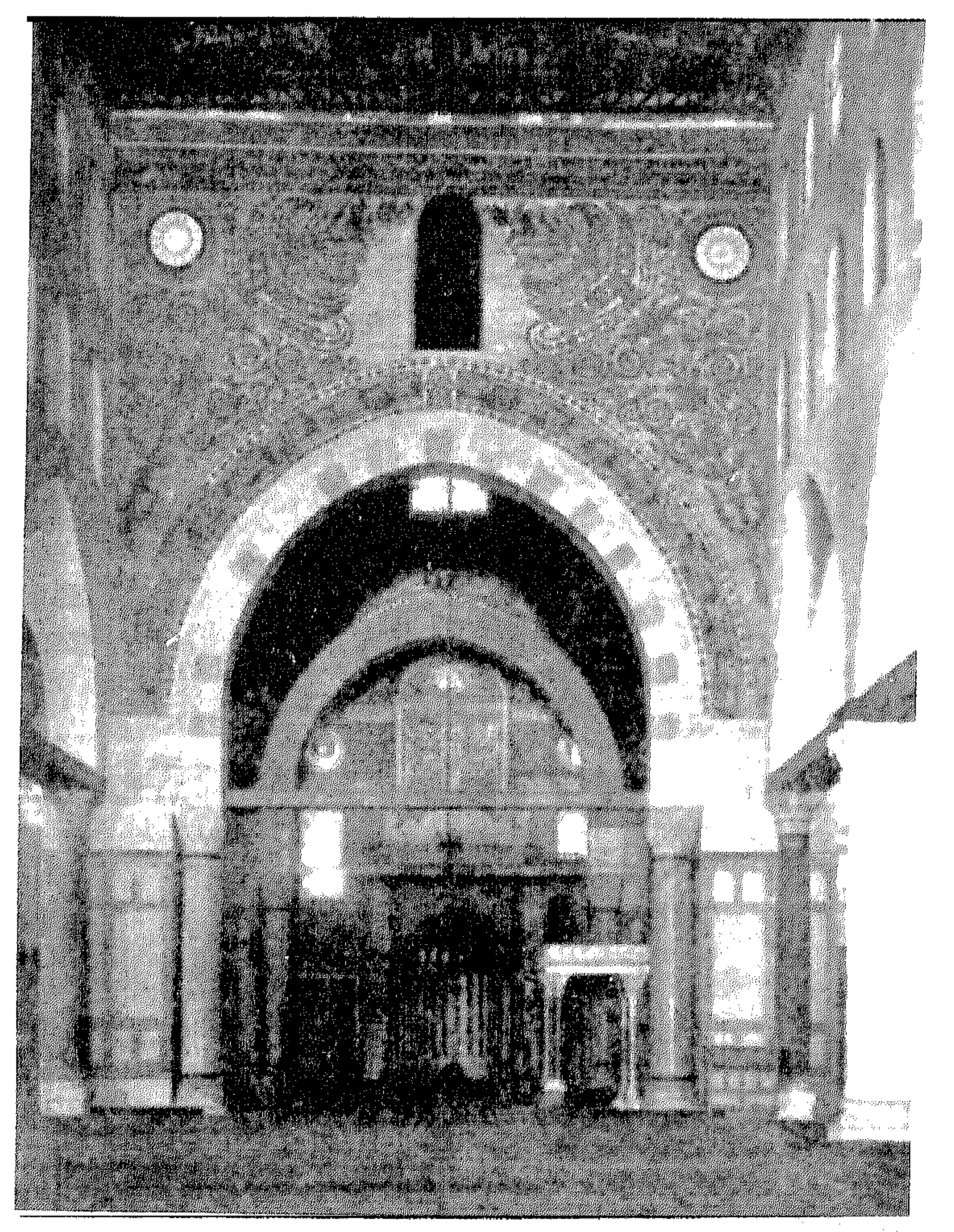
ويسرني أن أرى هذا العدد من "المنتدى" مخصصًا للمسجد الأقصى، وكل ما له علاقة بتاريخه، قديمه وحديثه، وما مر به من الأحداث وما عملت فيه يد الإصلاح.

وإنني أترك القارئ الكريم لكي يقلب هذه الصفحات الزاخرة بالمعلومات عن هذا المسجد المبارك.

إصلاح المسجد الأقصى وتجديده

علي طاهر الدجاني

جرت في الآونة الأخيرة إصلاحات وتعميرات هامة في الحرم الشريف بصورة عامة والمسجد الأقصى بصورة خاصة، ولقد خطت هذه الإصلاحات شوطًا بعيدًا، وتقدمت تقدمًا محسوسًا، فرأينا ضرورة التحدث عنها وذكر لمحة عن تطوراتها، مستعينين في ذلك بأهل الخبرة والاختصاص، ومسترشدين بالمعلومات التي تفضلت بها هيئة المجلس الإسلامي الأعلى التي أشرفت عليها منذ البدء حتى الآن.



الواجهة الشمالية للقبة المرصعة بالفسيفساء وقد تم تجديدها في الدور الأول من الإصلاحات الحديثة

لقد كانت الإصلاحات في المسجد الأقصى المبارك عامة شاملة، فتناولت الإصلاح والتجديد في مواضع كثيرة وأضفت على المسجد حلة قشيبة زادته رونقًا وبهجة، وحفظته ذخرًا فنيًا وصرحًا عالميًا.

والباحث في هذا الموضوع يتعرض لتفاصيل فنية كبيرة تهم الأخصائيين في علم الآثار وفن العمارة، وتتطلب مجالاً واسعًا لوصفها وتفصيلها. ولهذا حرصنا على ذكر الهام من هذه التفصيلات وخوض الموضوع بصورة عامة، تاركين للأخصائيين والمؤرخين إيفاءه حقه ما يجدر به من الاستقصاء والتنقيب. وتسهيلاً لتناول الموضوع قسمناه إلى أربعة فصول، خصصنا الفصل الأول منه للتطورات التاريخية التي طرأت على المسجد من بنائه حتى سنة ١٩٢٢، بينما خصصنا الفصل الثاني للعمارة التي جرت بين سنتي ١٩٢٢ و ١٩٢٧ والفصل الثالث للعمارة التي بدأت سنة ١٩٣٨ ويؤمل أن تتم قبل انتهاء هذه السنة، والفصل الرابع والأخير للعمارة التي عقدت النية على إنشائها عندما تسمح الظروف.

لمحة تاريخية

تعارف الناس على تسمية المسجد القائم إلى الجنوب من قبة الصخرة المشرفة بالمسجد الأقصى المبارك. والواقع أن المسجد الأقصى يشمل الحرم الشريف بأجمعه وهو المعني بأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. وهو الذي ذكر في الآية الكريمة – "سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ".

ويسمي الإفرنج المسجد الأقصى تسمية خاطئة بجامع عمر نسبة إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. إن عمر بنى مسجدًا في البقعة المباركة المشهورة بالحرم الشريف إلا أن المسجد كان يحاذي السور الشرقي أي شرقي بناء المسجد الأقصى الذي نراه اليوم. وكان ذلك المسجد مترامي الأطراف مسقفًا بالأخشاب ويتسع لحوالي

ثلاثة آلاف من المصلين. وقد تم بناؤه في السنة الثامنة عشرة أو السنة الحادية والعشرين للهجرة. ولكن آثاره اندثرت عند بناء قبة الصخرة المشرفة.

والمسجد الأقصى جامع أثري بديع الهندسة والبناء، تولى تشييده البناءون العرب ولا صحة في ما يدعيه بعض الإفرنج من أنه الكنيسة الكبرى التي شيدها الإمبراطور يوستينايوس في أواسط القرن السادس للميلاد ثم كرسها باسم السيدة العذراء. ذلك أن تلك الكنيسة قد عفت آثارها واندرست معالمها بعد أن خرب الفرس مدينة القدس سنة ٦١٤ للميلاد أي قبيل الهجرة النبوية بثماني سنوات.

ذكر المقدسي في كتابه المسمى "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" أن باني المسجد الأقصى هو عبد الملك بن مروان. وأيده في هذا القول بعض المؤرخين في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة غير أن هناك أدلة أخرى تثبت أن باني المسجد هو الوليد بن عبد الملك الذي انتهى إليه الحكم سنة ٨٦ هـ وتوفي سنة ٩٦ هـ. وهذه الأدلة مثبتة في تحارير رسمية كتبها قرة بن شريك عامل الأمويين على مصر إلى أحد حكام الصعيد بين سنتي ٩٠ و٩٦ للهجرة بصدد المسجد الأقصى. وهي مكتوبة على ورق البردي ومحفوظة في المتحف البريطاني في لندن وتاريخها يدل أن كاتبها كان معاصرًا للوليد بن عبد الملك. ويتضمن أحد التحارير طلبًا لإرسال صانع ماهر (معلم) للمسجد الذي يبنيه يزيد بن سلام وهو بلا ريب المسجد الأقصى بعينه.

وهناك تحرير ثان يرجع تاريخه إلى سنة ٩١ للهجرة يطلب فيه كاتبه عاملين للمسجد، وثمة تحرير ثالث يحمل التاريخ نفسه ويذكر من ضمن ما يذكر الصناع والعمال الذين عملوا في بناء مسجد القدس وقصر أمير المؤمنين مع بيان أجورهم ونفقة قوتهم.

يتضح من هذا أن الوليد هو الذي بنى المسجد الأقصى، أضف إلى ذلك ما قاله العمري في كتابه "التعريف" عن الوليد حين ذكر ما كان ينقله الوليد من الفسيفساء بالبريد من القسطنطينية إلى دمشق ومنها إلى القدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ليزيد بها جدران المساجد في المدن الأربع.

الإصلاح والبناء

من البديهي أن تعمل يد الزمن عملها، وأن تترك في المسجد أثرها. وما كان لصرح مهما رسخ وثبت أن يقاوم تقلبات الطبيعة على مر الأيام وكر الأعوام.

وكان الحافز الأول لإصلاح ما خرب من المساجد العامل الديني وتأثر الخلفاء والحكام بقوله تعالى "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ" ورغبتهم في بناء صرح يبقى وترك أثر لا يُمحى.

وقد ورد في كتب التاريخ أن هزات أرضية في فترات متباعدة حدثت في أوقات ثابتة، فأحدثت أثرها في الأبنية ومنها المسجد.

وقد حدث زلزال سنة ١٣٠ للهجرة (٧٤٧م) أدى إلى تصدع المسجد وكان زمام الحكم يومئذ في يد بني العباس، وكان خليفتهم أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين. فأمر بإعادة بناء المسجد بعد أن زار القدس الشريف في منتصف القرن الثاني للهجرة.

وحدث زلزال ثان بعد سنوات معدودات فاندثر بسببه ما بناه الخليفة أبو جعفر المنصور فوجد الناس وقال الخليفة المهدي لما بلغته أنباء التصدع – "لا يفي بيت مال المسلمين لرده إلى ما كان" – وأهاب به المسلمون أن يصلح المسجد ويعيد بناء ما تصدع منه وما سقط، فكتب إلى الأمراء وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقًا ففعلوا، وتمت التعميرات في أيام المهدي سنة ١٦٣ للهجرة.

وحدث زلزال عظيم في ١٠ محرم سنة ٤٢٥ الموافق اليوم العاشر من شهر كانون الأول سنة ١٠٣٣ فخرب



منظر عام يجمع بين الإصلاحات الحديثة الأولى والثانية، وظهرت في الأمام مقدمة واجهة القبة

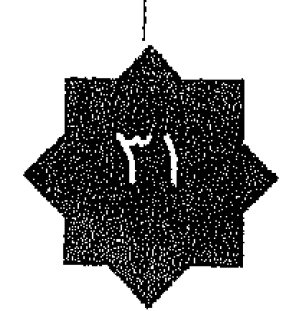
المسجد خرابًا ظاهرًا ولكن الله سبحانه وتعالى قيض له خليفة محبًّا للبناء والعمران في شخص الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله فأعاد بناءه في السنة التالية مبقيًا على ما أمكنه إبقاؤه من البناء السابق.

وقد بنى الخليفة الفاطمي القبة والأبواب الثلاثة الوسطى وأقواس الرواق الكبير وأركان القبة والأبواب السبعة في شمالي المسجد الأقصى ولا تزال هذه كما كانت في عهد الخليفة الظاهر.

صلاح الدين والمسجد

اتخذ الصليبيون قسمًا من المسجد مقرًّا لهم. غير أن الأمير أسامة بن منقذ كان يؤمه لأداء فرائض الصلاة... ثم قيض الله للمسجد الفاتح الكبير والبطل الخالد صلاح الدين الأيوبي فعمره، وبنى المحراب وأمر بنقل المنبر من حلب إلى موضعه في القدس ثم أمر ببناء قبة فوق المنبر ولكنها رفعت أثناء الإصلاحات الحديثة الأولى ووضعت في متحف المسجد الأقصى في القدس.

ومن الإصلاحات البارزة في المسجد تغطية سطحه بالرصاص سنة ٨٨٣ للهجرة في عهد الأشرف قايتباي. وهناك لوحات نحاسية على أبواب المسجد تشير الكتابة المنقوشة عليها بما قام به هذا السلطان من الإصلاحات.



وليست لدينا أية تفصيلات عن الإصلاحات التي تمت في عهد سلاطين آل عثمان. بيد أن هذه الإصلاحات لم تكن واسعة النطاق، بل اقتصرت على أمكنة مختلفة من المسجد دون أن تتناول أية تغييرات أساسية فيه.

وقد حدث مؤخرًا في فلسطين زلزالان لا تزال ذكراهما ماثلة في الأذهان، ففي تموز سنة ١٩٢٧ حدث زلزال كبير تأثر بسببه المسجد تأثرًا كبيرًا وحدثت في شهر تشرين الأول سنة ١٩٣٧ هزة خفيفة، ولكن أثرها كان عظيمًا على المسجد بسبب الحالة التي كان عليها يومئذ.

وهكذا نصل في هذه اللمحة التاريخية إلى الإصلاحات الحديثة التي جرت خلال فترتين متقاربتين من الزمن، وتناولت تغييرات شاملة في المسجد.

ويجدر بنا الآن أن نذكر الأدوار التي مرت بها هذه الإصلاحات ذاكرين الصعوبات الفنية التي كان على المهندسين أن يتغلبوا عليها لكي يحافظوا على هذا الأثر الفني الخالد، وسنتناول الحديث عن هذه الإصلاحات في العهد الأخير مبتدئين بالدور الأول منها فالثاني فالثالث الذي ينتظر أن تتم فيه الإصلاحات إن شاء الله.

ترجع الإصلاحات الحديثة الأولى في المسجد الأقصى المبارك إلى سنة ١٩٢٢ عندما لاحظ المجلس الإسلامي الأعلى تصدعًا في المسجد وتشققًا في الجدران والسقف ولمس ضرورة المبادرة إلى بناء ما تشعّب وتصدّع وإصلاح المسجد إصلاحًا يضمن بقاءه ذخرًا فنيًا عالميًا.

وكان محور تلك الإصلاحات كما ورد في البيان الذي أصدره المجلس الإسلامي الأعلى سنة ١٩٢٤، الإصلاح والتجديد.

"أما الإصلاح.... فهو في المواضع التي تطرق إليها الوهن على توالي الأيام بسبب قلة الإحكام المعماري".

أما التجديد فهو تغيير وتبديل في المواضع التي بلغ منها الوهن مبلغًا أفقدها تماسكها شيئًا فشيئًا، فراحت تتفتت بفعل النخر إن كانت من الخشب، وتتشقق وتنقسم قطعًا قطعًا، إن كانت من الحجر. وفي كلتا الحالتين: بالإصلاح والتجديد يغدو البنيان بأجمعه مرصوصًا يشد بعضه بعضًا فيعاد إلى المسجد الأقصى سيرته الأولى، وهو خير درة إسلامية باقية إلى اليوم.

وإن كان مدار الأعمال يتناول الإصلاح والتجديد، غير أن للبحث الأثري والاستقصاء التاريخي قيمتهما وأهميتهما في تصميم الإصلاحات وتسيير دفتها. فقد ترتب على المهندسين والمعماريين أن يراجعوا الكتب التاريخية القديمة والحديثة للاطلاع على جميع التفاصيل والمسائل المتعلقة بالمسجد لكي يتمكنوا من الاستنارة بها والسير على هديها في تنفيذ أعمالهم وإعادة المسجد إلى الحالة التي كان عليها في أزهى أيامه وأبهى عصوره.

وقد استغرقت هذ الإصلاحات سبع سنوات والحديث عنها يتطلب وقتًا طويلاً وصبرًا جميلاً فالمجال واسع والتفصيلات كثيرة، ولقد راجعنا المجلس الإسلامي الأعلى لاستقاء المعلومات اللازمة، ثم راجعنا المهندس المعروف رشدي بك الإمام الحسيني الذي أشرف على تلك الإصلاحات، مهندسًا ومراقبًا وطلبنا إليه أن يحدثنا عنها حديثًا فنيًا نقدمه للقراء. إننا نتقدم بوافر الشكر لحضرته ولحضرة عبد الفتاح بك حلمي مدير دائرة حفظ الآثار العربية في القاهرة لمساعدتهما القيمة وتشجيعهما لنا في تحضير هذا الاستقصاء الذي نرجو أن يصادف قبولاً حسنًا في نفوس قرائنا الأعزاء في فلسطين والأقطار الشقيقة.

أما النقط التي دار البحث حولها فهي كما يلي:

أولاً- الكشف على المسجد.

ثانيًا- تأليف الهيئة الفنية.

ثالثًا- (أ) الوصف الفني للمسجد.

(ب) الخراب في المسجد.

(ج) المؤتمر الهندسي.

رابعًا- البدء بالعمل.

خامسًا- حل الهيئة.

سادسًا- قمة إصلاح القبة.

(١) الواجهات الشرقية.

(٢) الزخرفة.

(٣) استدعاء كمال الدين بك.

(٤) انتهاء العمل من القبة.

سابعًا- النتيجة.

الكشف عن المسجد

طلب المسجد الإسلامي الأعلى في سنة ١٩٢٢ إلى المهندس رشدي بك الإمام الحسيني أن يتفقد الحرم الشريف ويبدي رأيه بشأن تعميره بصورة عامة وإصلاح المسجد الأقصى بصورة خاصة. فبادر توًّا إلى الكشف على المسجد الأقصى وتفقد مواطن الخطر في الجدران والسقوف، ثم وضع تقريرًا فنيًّا شاملاً باستقصاءاته وتوصياته ولكنه رأى زيادة في الحرص، بالنسبة لأهمية المشروع وعظمته، أن يستعين بمهندس أخصائي بالآثار الإسلامية عامة والحرم الشريف بصورة خاصة، فاقترح الاستعانة بالمهندس التركي الكبير المرحوم كمال الدين بك أحد أساتذة الهندسة في جامعة إستانبول فوافق المجلس الإسلامي الأعلى على هذا الاقتراح ووجه الدعوة إلى كمال الدين بك للإسراع في الحضور إلى القدس وتفقد حالة المسجد، فحضر إليها في أواخر تموز سنة ١٩٢٢.

وقد وافق كمال الدين بك، بعد الكشف على المسجد على وجود الخطر وقرر البقاء في القدس للمناظرة على الإصلاحات؛ وذلك حسب شروط اتفق عليها مع المجلس الإسلامي الأعلى في ١٣ آب سنة ١٩٢٢ وقد جاءت في هذه الاتفاقية التي عقدت بينه وبين المجلس الإسلامي الأعلى النبذة التالية:

"عين المجلس الإسلامي الأعلى المهندس كمال الدين بك مستشارًا فنيًّا للمناظرة على الأعمال الفنية في تعمير الأبنية المقدسة في الحرم الشريف مع إعطائه الصلاحيات اللازمة لإدارة هذه الأعمال في القدس وخارجها حسبما يرى ذلك مناسبًا. وفوض كمال الدين بك أيضًا في انتخاب هيئة فنية لكي تزوده بالنصائح وتساعده في تنظيم الخرائط والرسوم اللازمة للقيام بأعمال التعميرات حسب القواعد العلمية والأصول الفنية".

وهكذا وضعت تفاصيل إصلاح الحرم الشريف، واختص المسجد الأقصى المبارك بالإصلاحات الآتية:

(١) إصلاح المسجد الأقصى إصلاحًا متينًا وبناؤه بناءً ثابتًا.

(٢) تجديد نوافذ الجص الملونة.

(٣) سبك صفائح الرصاص في القبة.

(٤) تجديد الأعمدة وبعض الجدران وإصلاح غيرها.

(٥) وهناك برنامج آخر يتعلق بإصلاح قبة الصخرة المشرفة وعدد من المآذن وإزالة الأبنية التي أضيفت للحرم الشريف وغيرها من الإصلاحات التي لا يتسع المجال لذكرها.

تأليف الهيئة الفنية

من البديهي أن يكون تأليف الهيئة الفنية أول خطوة اتخذها كمال الدين بك لتنفيذ المشروع فقرر أن تتألف هذه الهيئة للإشراف على المشروع، على الوجه الآتي:

(١) مهندس معماري ذو اختصاص في تعمير الآثار القديمة – للرئاسة.

(٢) مهندس معماري للمناظرة على العمل، وتطبيق التصميمات والرسوم التي تقررها الهيئة الفنية في أثناء اجتماعاتها.

(٣) مهندس ذو اختصاص في تعمير الآثار القديمة.

(٤) رسام متخرج من مدرسة الفنون الجميلة.

(٥) رسام ماهر.

(٦) مراقب للأشغال ذو معرفة بكثير من الصناعات.

(٧) مساعد لمراقب الأشغال.

وقد فوض المجلس الإسلامي الأعلى كمال الدين بك زيادة عدد المهندسين والرسامين عند اللزوم وزيادة عدد مراقبي الأشغال والمعلمين على اختلاف حرفهم إذا رأى ذلك مناسبًا.

وتنص شروط العمل بين المجلس الإسلامي الأعلى والمعماري كمال الدين بك على أن تكون جميع الخرائط والرسوم الفنية ملكًا للمجلس الإسلامي الأعلى، على أنه إذا تقرر نشر كتاب عن هذه التعميرات أو الأعمال الفنية فلابد من استشارته في الأمر.

وقد ألف كمال الدين بك الهيئة الفنية من نفسه رئيسًا ومستشارًا ومن كل من: المعماري نهاد بك والمهندس جمال بك والمعماري حسني بك (وجميعهم أتراك) والمهندس رشدي بك الإمام الحسيني أعضاء.

وعين للهيئة كاتبين هما المرحوم المهندس حكمت أبو السعود والسيد فائز طوفان.

وقد توافرت الهيئة على درس المشروع درسًا فنيًا مدققًا متناولاً كل جزء من أجزاء المسجد وقد أثبتت استقصاءاتها وأبحاثها الدقيقة على أن التجديد الذي حصل في المسجد بين حين وآخر طيلة العهد الماضي لم يكن كله على غاية الإحكام الفني، ولهذا دعت الحاجة المرة إلى إصلاحه، وتوالت أعمال التجديد دون أن يكون لكثير منها أثر باق بقاء طويلاً.

وكانت الدول الإسلامية على تعاقب أيامها تنفق عليه الأموال من بيت المال في سبيل الله تعالى، وحرصًا على ما اشتمل عليه من فن رائع يمثل عنصرًا من أرقى عناصر الحضارة الإسلامية.

وقد بدأت الهيئة الفنية العمل في نواحيه المختلفة بأخذ المقاييس ووضع التصميمات العامة والرسوم التفصيلية لتعمير قبة المسجد الأقصى التي كانت في حالة خطر تنذر بوقوع كارثة عظيمة في أية لحظة من الزمن.

ووضعت الهيئة التصميمات والرسوم التفصيلية لتجديد القيشاني والرخام ونوافذ الجص وغير ذلك من التفصيلات.

الوصف الفني

يقع المسجد الأقصى في القسم الجنوبي من ساحة الحرم الشريف. فالزاوية الشمالية الغربية تبعد عن سور باب المغاربة نحوًا من سبعين مترًا وتوازي واجهته الشمالية سور الحرم من الجنوب والخط المستقيم المسحوب على واجهته هذه ينحصر بين سوري الحرم الشرقي والغربي بطول يقرب من مائتين وخمسة وثمانين مترًا.

ويعلو صحن المسجد الأقصى الخارجي عن سطح البحر ٧٣٦ مترًا ونصف المتر.

ويبلغ طول المسجد الأقصى ٨٠ مترًا وعرضه ٥٥ مترًا باستثناء الأبنية المضافة إليه.

ويقابل الداخل للمسجد من الجهة الشمالية رواق كبير أنشئ في زمن الملك العظيم عيسى بن أبي بكر أيوب صاحب دمشق سنة ٦٣٤ هجرية ثم جدد بعده. وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممر ينتهي إلى سبعة أبواب كل باب يؤدي إلى رواق من أروقة المسجد السبعة.

وللمسجد عدا هذه الأبواب، باب من الجهة الشرقية، وآخر في الجهة الغربية وهناك مدخل لجامع النساء الواقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد.

وجامع النساء مؤلف من رواقين ممتدين غربًا مسافة ٥٣ مترًا إلى أن يتصلا بجامع المغاربة وقد بُني جامع النساء في عهد الفاطميين ويقع في الجهة الشرقية أيضًا جامع عمر وقد أطلق عليه اسم أمير المؤمنين عمر لأنه بقية الجامع الذي بناه عمر رضي الله عنه عندما فتح المدينة.

ويبلغ طول هذا الجامع ٢٦ مترًا وعرضه ثمانية أمتار.

ويقع في الجهة الشمالية الغربية إيوان كبير يتصل بباب يسمى مقام عزيز ويقع بالقرب منه إيوان جميل يسمى محراب زكريا.

يوجد تحت المسجد الأقصى بناء أرضي يمتد على طول المسجد من الشمال إلى الجنوب، ويعرف بالأقصى القديم وهو عبارة عن ممر أو دهليز واسع طويل يقوم على جدران متينة ويتألف من سلسلة عقود متمركزة على أعمدة تمتد من أول البناء إلى آخره.

إذا نظرنا إلى الوراء نظرة تاريخية نجد أن المسجد أقيم على أساس الهيكل القديم دون أن تقوى أسسه أو تعزز لحمل جدران المسجد وقبته وسقوفه.

ولهذا رمم المسجد مرات متعددة، وقد كسيت أبوابه بصفائح الذهب والفضة التي زادت عن عمارة قبة الصخرة المشرفة، ولكنها أزيلت على أثر الزلزال الذي حدث سنة ١٣٠ هجرية الموافقة سنة ٧٤٧ ميلادية لكي تنفق على ترميم المسجد.

وفي عهد المهدي حدث زلزال آخر فتصدع المسجد وأمر الخليفة ببنائه، ووقع زلزال ثالث سقط من جرائه سقف المسجد وأمر الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله بتعميره.

وهكذا كانت جميع أعمال الإصلاح والبناء لا تتناول أسس المسجد ولا تمسها.

وفي المسجد أعمدة كثيرة تقوم على قواعد جميلة وتعلوها تيجان غاية في الجمال والإبداع. ويوجد في أعلى الأقواس صفان من الشبابيك، يفتح القسم العلوي منها نحو الخارج، ويفتح القسم السفلي نحو الرواقين الجانبيين.

وسطح الرواق الرئيسي أعلى من سطح الرواقين المجاورين له وفوق كل رواق من هذين الرواقين نصبة من الخشب قليلة الارتفاع في الوسط تسمى "بالجمالون".

أما الأروقة الجانبية فكانت مغطاة بعقود ترتكز على أقواس خمسة.

وكان المرجح أن عهد الفسيفساء في قبة المسجد الأقصى يرجع إلى أيام الخليفة عبد الملك بن مروان ولكنه حينما كشفت القصارة (الجص) عن واجهة القوس الشمالي تبين أن مجدد ذلك القوس هو "علي أبو الحسن الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين بن الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين".

والحائط الجنوبي للمسجد متين جداً، ويقوم على أساس قوي منذ زمن مترام في القدم وهو أقوى وأمتن من الجدران الأخرى التي ترجع إلى عصور متأخرة.

وعلى بعد ستة أمتار تقريبًا شمالي المسجد إلى الشرق من مدخل الرواق الأوسط يوجد مدخل لقبو تحت قسم من المسجد الأقصى.

ويوجد ضمن جدران المسجد بئر عمقها ١٤ مترًا و٦٠ سنتيمترًا وتعلو خرزة البئر عن أرضية المسجد ٦٨ سنتميترًا. ولا يعرف فيما إذا كان تحت الأرض آبار أو عقود أخرى.

ويبلغ ارتفاع القبة الوسطى في المسجد ٢١ مترًا تقريبًا، بينما يشتمل داخل البناء على صحن قائم على أعمدة ويبلغ ارتفاعه ١٦ مترًا و ٥٠ سنتيمترًا.

وهذا الوصف الفني وما حواه من لمع تاريخية على جانب عظيم من الأهمية، إذ إن الإصلاحات تأثرت به وسارت على نمط تاريخي يعيد للمسجد حسنه وبهاءه.

"وهكذا نحن نصل الآن إلى الحديث عن الخراب".

الخراب في المسجد الأقصى

لم يطرأ الخراب على المسجد الأقصى في نواحيه المختلفة في وقت واحد أو جيل واحد. وإنما كان يظهر ثم يتزايد مع الزمن. وأهم العوامل التي أدت إلى تسرب الخراب إليه هو ضعف الأساسات وانهراس الشدادات الخشبية الرابطة للأقواس، والموضوعة فوق التيجان القديمة، وقد أدى خرابها إلى انكباس بعض الأعمدة وانحراف بعضها عن شاقوليته – عموديته.

ولم تكن التعميرات في العهود المختلفة تجري بصورة فنية تكفل بقاءه وتحفظ رونقه وبهاءه وجل ما كان يتم من الأعمال لا يتعدى زيادة الدعائم السائدة وإقامة ركب من الحجارة أو إنشاء أقواس جديدة بدعائمها تحت الأقواس القديمة، مما أضاع الترتيب الفني وشوه جمال هذا المسجد تشويهًا واضحًا.

أما القبة فعندما ظهر الانكباس والانحراف في الأعمدة التي تحملها، بنوا لها عدة أركان حجرية بين الأعمدة بغية توزيع الثقل على مساحة أوسع من ذي قبل كما أنهم وضعوا أقواسًا أخرى في الجهة الجنوبية، غير أن ذلك لم يجد نفعًا ولم يحل دون استمرار الخراب، واستفحال أمره وازدياد خطره، حتى وصل درجة محرجة. وقد أسفر اشتداد الضغط عن تصدع معظم تيجان الأعمدة وقواعدها ومال عدد منها عن وضعه الشاقولي، أو بمعنى آخر انحرف عن استقامته العمودية، بما يقرب من ثمانية عشر سنتيمترًا تقريبًا.

وانعدمت أيضًا فائدة الشدادات والجسور الرابطة لأنها فقدت قوة المقاومة بسبب النخر والتفتت الذي طرأ عليها. وأصبح المسجد معرضًا لخطر مخيف أكيد يهدد كيانه في كل آن.

وقد حفظت في المتحف الإسلامي في القدس القواعد والتيجان والشدادات القديمة. ويستطيع الزائر أن يراها ويتبين التصدع فيها فيقدر خطورة الحالة التي كان عليها المسجد في ذلك الحين.

ويتراوح ارتفاع القواعد والتيجان بين ٥٥ و٦٥ سنتميترًا ويبلغ ارتفاع الأعمدة خمسة أمتار و ٤٠ سنتيمترًا، ويبلغ قطرها العلوي ٤٣ سنتيمترًا وقطرها السفلي ٥٢ سنتيمترًا.

وتتراوح فتحات أقواس القبة بين ثمانية أمتار و ٩١ مترًا و١٧ سنتيمترًا. أما ارتفاعها عن ظهر الشدادات فيبلغ ستة أمتار و٢٦ سنتيمترًا. ويبلغ ارتفاع قسم الأسطوانة المرصع بالفسيفساء من فوق التيجان إلى أول القبة أحد عشر مترًا و ٤٠ سنتيمترًا وارتفاع القبة الخارجية المصفحة بالرصاص عن القبة الداخلية ثلاثة أمتار.

فإذا أمعن النظر في هذه المقاييس والانحراف في شاقولية الأعمدة والشروخ الموجودة في التيجان والقواعد وانهراس الشدادات والتكبس الواقع على الأساسات والشقوق التي كانت بارزة في أحجار بداءة الأقواس، إذا أمعن النظر في كل هذا يُفهم عندئذ أن القبة كانت تنذر بخطر كما سبقت الإشارة إليه وأن الحالة كانت تستدعي علاجًا ناجعًا يحفظ هذه القبة ويكفل بقاء المسجد.

وكان لابد من العمل السريع واتخاذ القرارات الملائمة دون تمهل أو تأخير، أضف إلى ذلك الخشب المنخور البالي الذي يؤلف رف القبة الخشبي ونوافذ الجص المشوهة التي تقلل من بهاء المسجد وحسنه ناهيك عن تساقط الفسيفساء وما استتر من الشروخ تحت القصارة.

لقد تضافرت جميع هذه العوامل وساعد كل واحد منها على ظهور الخراب بالمسجد مما جعل أمر إصلاحه بل وإعاده بناء بعض أقسامه أمرًا ضروريًا لا مفر منه. ولكن الحالة كانت تستدعي علاجًا مباشرًا يزيل الخطر بصورة مؤقتة ويفسح المجال للمهندسين لكي يتخذوا القرارات الفنية اللازمة ويضعوا التصميمات الضرورية.

ولهذا تقرر كخطوة مبدئية تطويق القواعد المشقوقة بالخرسانة المسلحة لتأمين سلامتها والقيام بعمليات أخرى ريثما ينتهي وضع الرسوم الفنية والحسابات الدقيقة.

القرار

وبعد الدرس وإمعان الروية وضعت الهيئة الفنية تصميمين لعمارة المسجد الأقصى.

الأول- إما هدم القبة وإعادة بنائها ثانيًا.

الثاني- إصلاح القبة وتغيير أساساتها وأعمدتها وتيجانها.

فالقرار الأول لا ينطوي على الخطر ولكنه ينطوي على عملية تجديد واسعة النطاق تفقد القبة قيمتها الأثرية وأهميتها التاريخية.

أما القرار الثاني فصعب التنفيذ تحفه عثرات وأخطار جمة ولكنه يحفظ هذه القبة الأثرية الثمينة كما بناها السلف.

فأي القرارين تختار؟ وأيهما تفضل على الآخر؟

المؤتمر الهندسي

لهذا اضطرت الهيئة الفنية إلى مراجعة المجلس الإسلامي الأعلى واستشارته في الأمر فقرر المجلس عندئذ عقد المؤتمر من المهندسين الأكفاء ممن لهم خبرة واسعة في المباني الأثرية العربية والإسلامية ليقوم المؤتمر بتقرير الرأي الفني الأخير للعمارة. ثم وجه المجلس الإسلامي دعوة للحكومة المصرية لإيفاد جماعة من المهندسين المصريين للاشتراك في المؤتمر، فأوفدت المهندس محمود أفندي أحمد مندوب وزارة الأوقاف عن لجنة الآثار (وهو المرحوم محمود أحمد باشا رئيس دائرة حفظ الآثار العربية في القاهرة) والمهندس مصطفى بك حمدي القطان مندوب جمعية المهندسين الملكية ووزارة الأشغال. وطلب المجلس من حكومة فلسطين أن يشترك



المرحوم محمود أحمد باشا مدير دائرة حفظ الآثار العربية في القاهرة سابقًا

في المؤتمر المستر ريتشموند مساعد السكرتير العام للحكومة ورئيس دائرة الآثار والمستر غاي مهندس دائرة الآثار والمستر هاريسون رئيس المهندسين المعماريين في دائرة الأشغال العامة. وفي أوائل شهر شباط سنة ١٩٢٤ التأم المؤتمر وعقد جلسته الأولى بحضور المهندسين الذين ذكرت أسماؤهم وأعضاء الهيئة الفنية والمعماري المرحوم كمال الدين بك والمهندس رشدي بك الإمام الحسيني والمهندس جمال بك والمعماري حسني بك. وقد قضى المؤتمر أسبوعين تقريبًا في دراسة المشروعات الفنية دراسة دقيقة فلم يترك صغيرة أو كبيرة إلا واستقصاها وبحثها ثم دقق النظر في الخطط والرسوم التي أعدتها الهيئة الفنية.

وفي ٢٣ شباط سنة ١٩٢٤ عقد المؤتمر جلسة ختامية لتقرير الطريقة الفنية للمشروع واتباع الوسائل الفضلى للبدء في تنفيذه. واتخذ المؤتمر القرار التالي بالإجماع:

"بعد الفحص والتدقيق في حالة قبة المسجد الأقصى، والجزء السفلي منه، والمشاريع الثلاثة التي قدمها الأستاذ كمال الدين بك، والتقرير الذي قدمه المندوبان المصريان، مصطفى بك حمدي القطان، ومحمود أفندي أحمد، وبعد البحث الوافي، قررت اللجنة بالإجماع قبول المشروع الثاني، وأساسه تقوية البناء مع المحافظة عليه جهد المستطاع".

بعد الفحص والتدقيق في حالة قبة المسجد الأقصى، والجزء السفلي منه، والمشاريع الثلاثة التي قدمها الأستاذ كمال الدين بك، والتقرير الذي قدمه المندوبان المصريان، مصطفى بك حمدي القطان، ومحمود أفندي أحمد، وبعد البحث الوافي، قررت اللجنة بالإجماع قبول المشروع الثاني، وأساسه تقوية البناء مع المحافظة عليه جهد المستطاع.

أما تفاصيل المشروع فهي كما يلي:

صلب المجموع، تقوية الأسس، تقويم الأعمدة، تجديد الأوتار الخشبية، (الشدادات)، حفظ العقود والمقرنصات ورقبة القبة (الكرسي). وبقدر المستطاع حفظ القبة نفسها. وبالإجماع كل ترميم أو تجديد يجده كمال الدين بك ضروريًّا ومستطاعًا بالإضافة إلى ما ذكر.

وتزيد اللجنة على ذلك أنه وإن كان المشروع الأول المتعلق بالتجديد والذي اختاره المعماري كمال الدين بك، هو ذو نتيجة أقوى وأجمل إلا أنها تؤثر بالإجماع المشروع الثاني المذكور أعلاه، الموافق لتقرير المندوبين المصريين، لاعتبارات أثرية ودينية واجتماعية.

"وبهذه المناسبة ترى اللجنة أنه يستحسن أن يُعطى كمال الدين بك الحرية التامة في اختيار الوسائل التي ستتبع، وتقرير الإجراءات التي ستتخذ، لتنفيذ الأعمال المقررة في المشروع المذكور أعلاه، وإنهائها على أحسن وجه.

وترى اللجنة أن هذا العمل ضروري ودقيق، وأنه لا بد من إعطاء كمال الدين بك الذي سينفذه الحرية في أن يختار كل ما يحتاج إليه من العمال الفنيين، وأن يتخذ كل التدابير الاحتياطية الخاصة التي يقتضي اتخاذها في مشروع دقيق كهذا.

ثم تود اللجنة أن تبدي عظيم ارتياحها لما رأته من الدقة والمهارة اللتين أظهرهما المعماري كمال الدين بك والهيئة الفنية في درس المسألة والمشاريع التي حضرتها، وأن تظهر أيضًا ثقتها مجمعة بذلك التحضير الدقيق المحكم، ومنه تبدو بجلاء تام الأهمية الكبيرة التي تشتمل عليها هذه القضية الدقيقة وتفاصيلها وفروعها.

وعلى هذا وضعت لجنة المؤتمر هذا القرار النهائي بكل ثقة...

التاريخ ٢٣ شباط سنة ١٩٢٤

وقد عرض المؤتمر قراره على المجلس الإسلامي الأعلى فوافق عليه وعهد إلى الهيئة الفنية بتنفيذه بدقة وعناية، ولكنها رأت أن تشرك معها خبراء فنيين في العمل، لما

ينطوي عليه المشروع من الخطورة والأهمية، وما تحفه من صعوبات وعثرات، ولكي يقوم الخبراء بتنفيذ تصميمات المهندسين وتحقيق آرائهم.

فاستدعى المجلس الإسلامي الأعلى خبيرين من إحدى الشركات المعمارية الكبرى في أوروبا وقاما بتدقيق المشروع وبحثا التصميمات ولكنهما أظهرا ترددًا في قبوله وتأمين نجاحه وقررا العودة إلى بلادهما.

ولكن المشكلة لا تزال قائمة.. وهي تستدعي عملاً سريعًا.. فضلاً عن تنفيذ قرار مؤتمر المهندسين. عندئذ قررت الهيئة الفنية أن تضطلع بهذا العمل العظيم وأن تشرف على تنفيذه بنفسها متجشمة بذلك جميع الصعوبات. فصممت على قرارها هذا ثم أخرجته من حيز الفكر إلى حيز العمل....

البدء بالعمل

لا ريب أن نجاح كل عمل يعتمد على الدقة والسرعة والإتقان. فالهيئة الفنية كانت متأكدة من دقة حساباتها ولهذا باشرت العمل بثقة وإيمان.

وقد استغرقت أعمالها التحضيرية سنة وخمسة أشهر تقريبًا. إذ إنها ابتدأت أعمالها هذه في ٢٨ تشرين أول سنة ١٩٢٢، وانتهت منها في شباط سنة ١٩٢٤.

١٥ نيسان سنة ١٩٢٤

إن هذا اليوم من الأيام التي ستخلد في التاريخ، وتبقى ذكراها ناصعة لامعة، فهو يوم أغر ميمون، ذلك أن التوفيق حالف فيه الهيئة الفنية التي تكللت مساعيها بالنجاح التام.

أعدت الهيئة للعمل عدته فأحضرت العمال وأوجدت الخشب والحديد والأسمنت وبدأت بالبحث عن الأحجار اللازمة من المحاجر القريبة من القدس لصلابتها، ومنها الحجر المزى اليهودي الأحمر الموجود في محاجر الصليب بالقرب من بيت جالا، لاستعماله للأعمدة وقطع الأقواس. وأحضرت الهيئة الحجر الأبيض من قرية بيت صفافا المجاورة لمدينة القدس لاستعماله لقواعد الأعمدة وتيجانها ولبعض أقسام الأقواس التي تحمل القبة.

وكان تنفيذ هذا المشروع من نصيب المهندس رشدي بك، عضو الهيئة الفنية.

بعد هذه التحضيرات، توجب كشف الأساسات القديمة، وصب أساسات جديدة ووضع القواعد ثم رفع الأعمدة وتيجانها وبناء الأقواس فوقها، وفي الوقت نفسه توجب تركيب سلاح الحمال الذي يعلو القوس الحجري وتركيز القبة على الأقواس، والأقواس على الأعمدة في وقت واحد. وفي أثناء هذه الأعمال كان على المهندسين أن يؤمنوا مقاومة الأعمدة والأقواس القديمة التي تحمل ركبتي المسجد الشرقية الجنوبية والشرقية الشمالية لئلا يتسرب إليهما الوهن فتنهارا. وعزز ثلاثة أعمدة وقوسان في البهو الواسع الواقع في الجهة الجنوبية من المسجد الأقصى القديم بدعائم من الخرسانة المسلحة التي أقيمت على أساس متين من الخرسانة المسلحة أيضًا.

وبعد أن أنجزت هذه العملية وتم تركيز القبة على ساندات خشبية ضخمة بدأ المهندس رشدي بك بصلب الركبة الجنوبية الشرقية فطوقها بالحديد ثم صلب الركبة مبتدئًا من حجر بداءة القوس القديم، ففك الشدادات الخشبية، ثم رفع التاج فالعمود فالقاعدة فالأساس القديم، وبعد ذلك صب أساسًا جديدًا متينًا وصب شمعة من الخرسانة المسلحة مكان العمود المرفوع وربطها بالحديد بالحمال الذي يقع فوق القوس.

حل الهيئة الفنية

وهكذا سار العمل خطوة خطوة، وتم رفع ثلاثة أعمدة من مكانها والاستعاضة عنها بالخرسانة المسلحة إلى أن

وضع كمال الدين بك تقريرًا قال فيه إن الخطر زال عن القبة ويمكن الاستمرار في العمل بصورة طبيعية وأوصى بإناطة تنفيذ الأقسام التالية من المشروع إلى المهندس رشدي أباظة الإمام الحسيني... وغادر كمال الدين بك القدس في ١٥ تموز سنة ١٩٢٥. كما غادرها أيضًا زملاؤه المهندسون الأتراك ورئيسا ورشتي الخشب ونوافذ الجص.

وقد حلت الهيئة الفنية بصورة رسمية في ٣ حزيران سنة ١٩٢٥ وعهد المجلس الإسلامي الأعلى إلى المهندس رشدي بك الإمام بإتمام العمل ...

هنا عظمت المسئولية الملقاة على عاتقه. وشعر بعبثها فكتب في مذكراته يوم ١٥/٧/١٩٢٥ ما يلي ننقله لطرافته وللذكرى.

إن مفاجأتي بسفر الهيئة الفنية، وتركي وحيدًا أثر على نفسي تأثيرًا كبيرًا وجعلني أفكر بالمسألة بصورة جدية..

فالمشروع لا يزال في أوله ... والخطر عظيم والمسئولية كبيرة...

لقد ترك لي عمل خمسة مهندسين وثلاثة معلمين أخصائيين..

المسألة جدية ولا يجوز قطعيًا التقليل من خطورتها أو أهميتها.

يجب عليّ إذن إما التوقف عن العمل ... أو مضاعفة الجهود والسير إلى الأمام.

التوقف عن العمل غير ممكن ... بل مستحيل لأنه العجز بعينه..

إذن ليس من سبيل أمامي سوى مضاعفة جهودي والعمل على إنجاز ما بقي من الأعمال ... قلت أو كثرت .. سهلت أو صعبت .. فالتردد يحد من كرامتي الشخصية ويؤثر على كرامة أمتي المعنوية...

تتمة إصلاح القبة

وعلى ذلك وضع رشدي بك البرنامج التالي لتنفيذه بكل دقة وعناية..

أولاً: إتمام تقوية أركان قبة المسجد الأقصى.

ثانيًا: تغطية أركان القبة المبنية بالخرسانة المسلحة بالرخام الأبيض النقي بعد تحضير الرسوم العربية اللازمة، ونقشه وإحاطة النقوش بإطارات حجرية حمراء مصقولة.

ثالثًا: ستر شدادات الخرسانة المسلحة التي تربط بين أركان القبة بصفائح النحاس الأصفر المزين بالرسوم العربية النافرة.

رابعًا: إتمام النقص في الفسيفساء الموجودة في أسطوانة القبة.

خامسًا: عمل نوافذ جصية للمسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة.



منظر لقسم من المسجد الأقصى وهو في دور الإصلاح

سادسًا: تقوية قبة المسجد الأقصى بأسلحة خشبية أو معدنية نظرًا لعدم قدرة ألياف هذه القبة الخشبية على مسك البراغي أو غيرها من آلات الربط.

سابعًا: إتمام النقص في التصميمات والرسوم المتعلقة بالخطوط والزخرفة.

ثامنًا: إيجاد معلمين فنيين للقيام بأعمال النجارة والجص وحفر النحاس، وقد سهلت هذه المهمة لأن العمال الفلسطينيين الذين كانوا يزاولون هذه الأعمال تحت إشراف المعلمين الأتراك أتقنوها ومهروا فيها إلى درجة استحقوا معها إلقاء هذه المسئولية على كاهلهم.

واستمرت عملية إصلاح قواعد القبة وأقواسها وتقدم المشروع حسب هذا النظام تقدمًا مرضيًا حتى تم تنفيذه. وهكذا أصلحت القبة وزال عنها ما كمن فيها من الخطر.

ولما رفعت الساندات الخشبية وظهرت القبة رابضة في مكانها المتين، سرت في البلاد رنة فرح عظيمة وشكر الناس المولى على التوفيق الذي رافق الأعمال الهندسية في الإصلاح والبناء. فالأسس متينة، والأعمدة قوية، والأقواس ثابتة، والثقل موزع بالتعادل، ولهذا فبناؤها ثابت وسيخلد ويبقى إن شاء الله.

وبينما كان العمل في القبة يأخذ مجراه الطبيعي، كانت الأقسام الأخرى من ورشة الأعمال منهمكة في تهيئة الرسوم للخطوط والنقوش العربية وتزيين صفائح النحاس لستر الشدادات المسلحة، وصنع النوافذ الجصية المطعمة بالزجاج الملون.

كان لابد لهذه الأعمال أن تسير جنباً إلى جنب مع إصلاح القبة لكي لا يتأخر تنفيذ المشروع ولا يتوقف العمال عن البناء.

ومن المشاكل التي استعصى أمرها في وقت من الأوقات ترصيع أقسام القبة المجردة من الفسيفساء وإعادتها إلى رونقها وبهائها. ولكن هذا العمل دقيق جداً فضلاً عن أنه يحتاج إلى دراسة عملية وافرة ومعرفة تامة بقواعد انعكاس النور ومبادئ امتزاجه.

والعامل العربي حديث العهد بهذا العمل، بل ليست عنده أية خبرة فيه. وتقدر المساحة التي يترتب إملاؤها بثلاثين مترًا مربعًا. وكان يقيم في القدس في ذلك الحين عمال نمساويون يعملون في ترصيع الفسيفساء على جدران كنيسة الجثمانية التي كانت تبنى بالقدس آنئذ، فطلب إليهم أن يقوموا بهذا العمل، فكشفوا على القبة ووافقوا على ذلك ولكنهم طلبوا أجورًا باهظة، بالإضافة إلى تأمين أمكنة لإقامتهم وإطعامهم. ولما تعذرت الموافقة على هذين الشرطين قرر المهندس رشدي بك أن يشرف بنفسه على العمل، ويرصع القبة تحت إشرافه مستخدمًا في ذلك العمال العرب. وبدأ يدرب رئيس العمال في قسم الجصّ، وهو تركي، بترصيع الفسيفساء في قالب خشبي واستمر "المعلم" يتدرب على العمل حتى أتقنه، وكان يساعده المعلم إبراهيم الديسي أحد معلمي دق الأحجار بالقدس. ولما أحكما هذه الصناعة، ونالا رضاء كمال الدين بك عهد إليهما بإتمام العمل فقاما به معًا ولما أتما حوالي تسعة أمتار مربعة منه غادر معلم الجص البلاد عائدًا إلى الآستانة فاستأنفه المعلم إبراهيم الديسي بمفرده واستمر فيه حتى أتمه على خير وجه وحسب الشروط الهندسية والمبادئ الفنية المطلوبة، وليس بوسع أحد أن يفرق الآن بين الأقسام القديمة والأقسام الحديثة.

الواجهات الخارجية لأقواس القبة

كانت الواجهات الشرقية والجنوبية والغربية من أقواس القبة مكسوة بقصارة عادية بيضاء. أما الواجهة الشمالية فقد كانت مكسوة بقصارة عادية أيضًا ولكن القسم السفلي منها كان مزينًا برسوم زيتية تشتمل على صورة قائمين بين الحدائق الغناء التي تنبت فيها الأشجار وتتخللها الأنهار. ويعلو هذه الصورة على الواجهة نفسها رسم لستارين مكشوفين يماثلان

الستائر التي تستعمل في المسارح. ويعود هذا الرسم تاريخيًا إلى العهد الأخير من سلاطين آل عثمان.

ولما تقرر إبدال هذا الرسم بآخر ليتناسب مع عظمة المسجد ومكانته الدينية والفنية نقل الرسم أولاً لقيمته التاريخية، ثم بدئ برفع القصارة تمهيدًا لإصلاحها وتزيينها بالرسوم الملائمة.

وكم كانت الدهشة عظيمة عندما تكشفت هذه القصارة عن فسيفساء جميلة الشكل واللون. لقد كان هذا العمل توفيقًا من المولى عز وجل. فإذن لا بد الآن من التريث والتمهل في كشف سائر أنحاء هذه الواجهة، ودراسة الرسوم التي تزينها.

وتقدر مساحة الفسيفساء التي وجدت على الواجهة ١٧ مترًا مربعًا، ويقدر مجموع مساحتها بسبعين مترًا مربعًا، فالفرق بين المساحتين كبير، ولذا تطلبت هذه العملية رسومًا جديدة، ودراسة أوفى لكتب التاريخ واستشارة علماء الآثار وقد وجد أن الطريقة المثلى لمعالجة هذه المسألة هي البحث والاستقراء.

لقد وجدت على الواجهة الكتابات الكوفية التالية:

"... (١) ... **سرى بعبده ليلاً من المسجد الحـ ... (٢) ... عمارته مولانا على أبي الحسن الظاهر لإعزاز د .... (٣) ... أمير المو ... (٤) ... المؤمـ ... (٥) .... بن علي بن عبد الرحمن أثابه الله وتولى ذلك الشريف أبو القـ (٦) ....**".



النحاتون العرب ينحتون أحد تيجان الأعمدة الجديدة في المسجد الأقصى المبارك

لقد أشرنا إلى العبارات والكلمات الناقصة حسب موقعها في الجملة بالأرقام. وبعد الرجوع إلى المراجع التاريخية واستشارة الأثريين وإمعان النظر في الخط وتاريخه وجد أن العبارات والكلمات الناقصة هي:

١ -بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أ.

٢ -رام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله. أمر بتجديد...

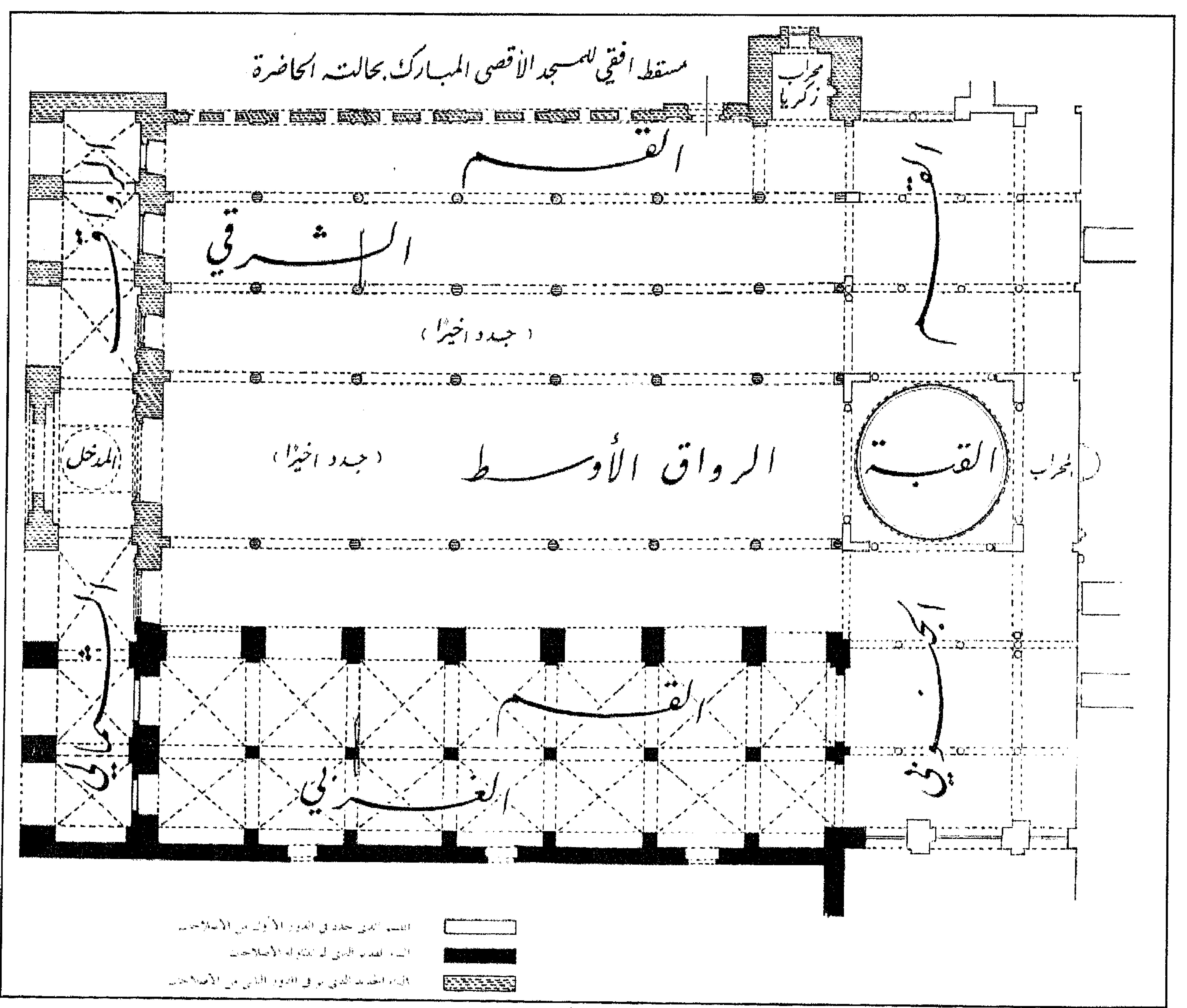
٣ -ين الله.

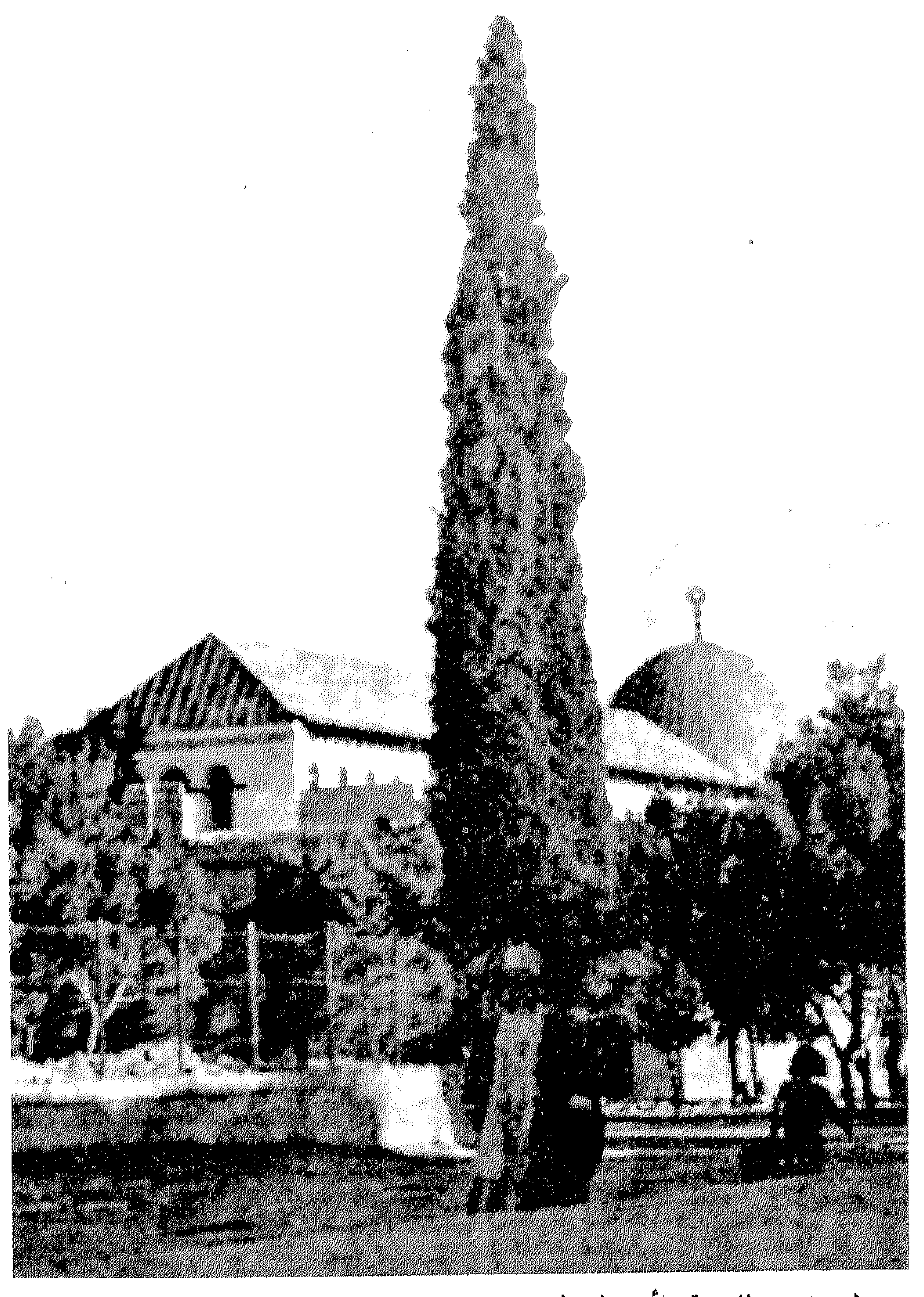
٤ -منين بن الحاكم بأمر الله أمير ...

٥ -نين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأنبيائه الأكرمين.

أما القسم السادس والأخير فقد تضاربت بشأنه الآراء وتباينت بصدده النظريات ولما تعذر وجود نص صحيح له تقرر إبقاؤه على حاله. وأصبحت الكتابة الكوفية الكاملة كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله. أمر بتجديد عمارته مولانا علي أبي الحسن الإمام الظاهر





منظر خارجي للرواق الأوسط والقبة بعد إصلاحهما وتجديدهما

لإعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأنبيائه الأكرمين ... بن علي بن عبد الرحمن أثابه الله وتولى ذلك الشريف أبو القاسم ...".

وتدل هذه العبارة على أن العمارة جرت على أثر الزلزال الذي حدث في أثناء حكم الفاطميين.

وبعد أن وضع التصميم اللازم لإعادة هذه الفسيفساء بالمقياس الطبيعي ولونت أجزاؤه بالألوان الحقيقية، بوشر بالعمل. وقسمت الواجهة إلى أجزاء لا تتجاوز مساحة كل منها متراً مربعاً، ورصعت الفسيفساء على الواجهة حسب التصميم الطبيعي المشار إليه، وقد أنجز هذا العمل المعلم



نموذج من زخرفة الخشب بالمسجد الأقصى

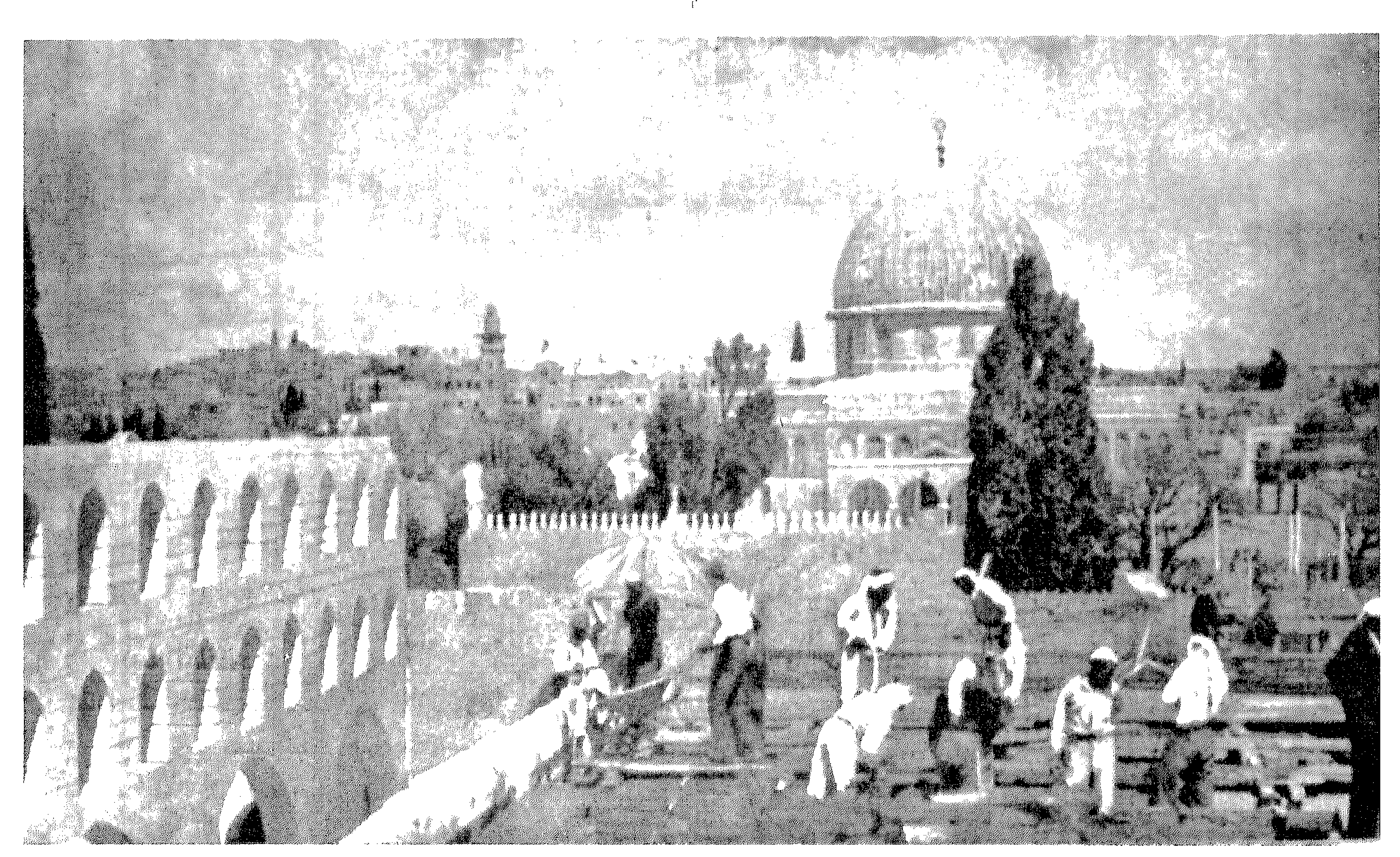
إبراهيم الديسي وعدد من العمال العرب، وحري بالذكر أن النتيجة كانت مدهشة حقًّا فقد أعجب بها الخبراء النمساويون وبلغ بهم العجب أنهم أبوا أن يصدقوا أنها من عمل الصناع المحليين.

وهكذا أزيلت عقبة كأداء، فقد نجح المشروع أولاً، وأسفر ثانيًا عن توفير مبلغ كبير من المال على خزانة الحرم الشريف وتعلَّم لفيف من أهل البلاد صناعة جميلة لا ريب أنهم سيستفيدون منها في اكتساب أود معيشتهم، فضلاً عن أنه تحقق الأمل في إتمام العمل العظيم على أيدي عمال عرب، وفي هذا ما فيه من سمعة طيبة وذكر خالد للأمة العربية في هذه البلاد، التي أثبتت كفاءتها في هذا المضمار، واستعداد أبنائها لإظهار مواهبهم الفنية.

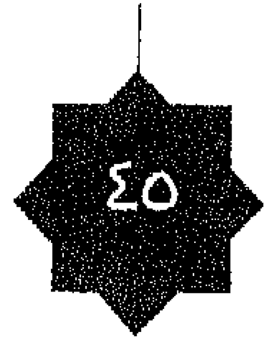
الزخرفة

إن الأسلوب العربي في الرسم والزخرفة يختلف عن غيره من الأساليب بتنوع الأشكال والرسوم. مما يدل على خصب في الخيال وسعة في الاطلاع.

ولكن وضع الزخارف والرسوم يحتاج إلى فنانين أولاً وإلى عمال أخصائيين لتنفيذ الرسوم ثانيًا. ولئن توفر وضع الرسوم، فمن يقوم بتنفيذها...ظهرت هذه المشكلة الجديدة وكان لابد من التغلب عليها. وجد أخيرًا أن أسهل الطرق لنقل الرسوم من الورق الجص أو الحجر هي رسمها بالحجم الطبيعي المطلوب ومساعدة العمال في نقلها كما هي، وعلى الرغم من مشقة هذا العمل فإنه جاء بالنتيجة المطلوبة والغاية المرغوبة، فجاءت الرسوم والزخرفة آية في الإبداع، تتميز بالدقة وجمال الرونق.



إصلاح السقف وانهماك العمال به



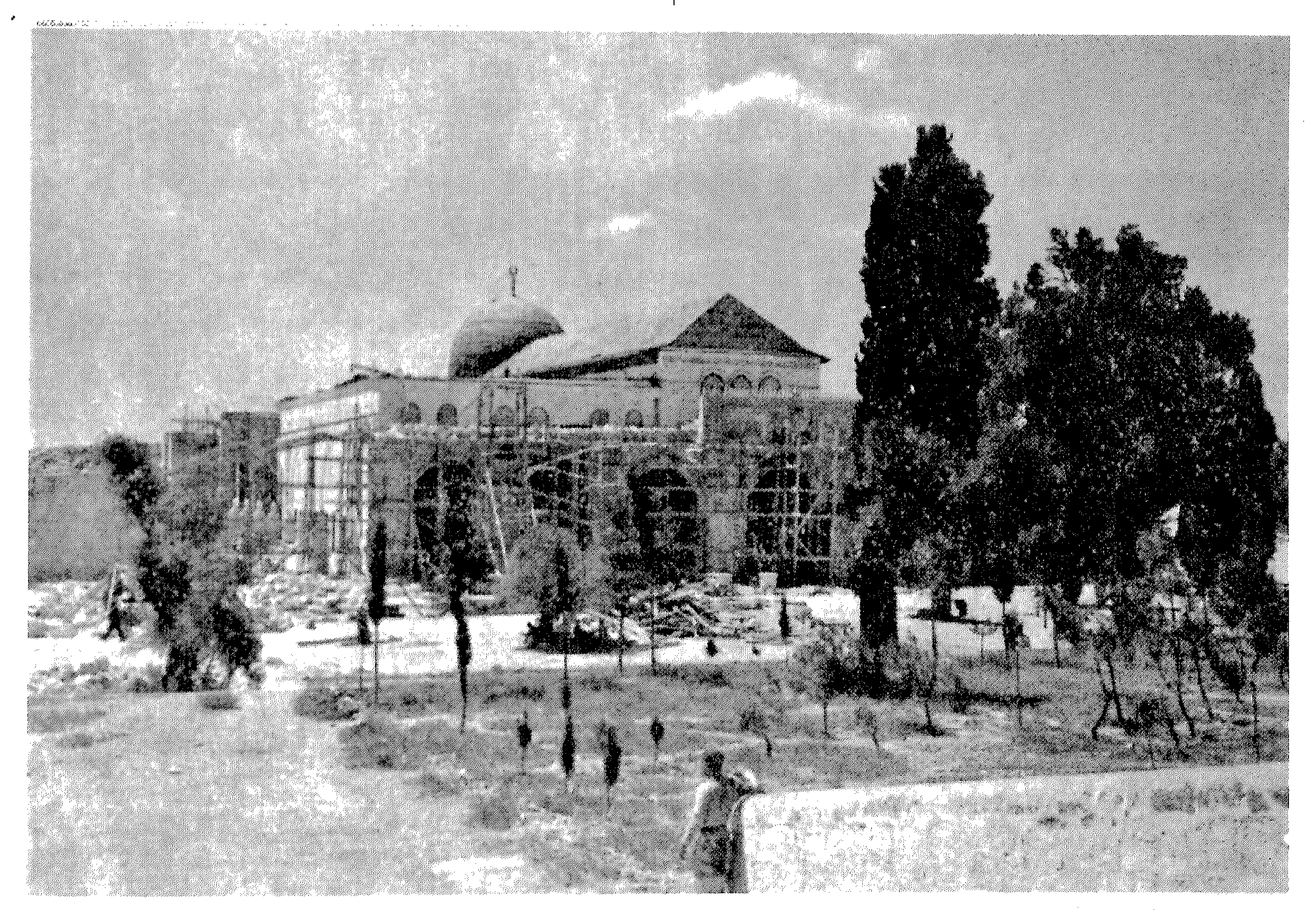
وقد نوعت الرسوم تنويعًا ملموسًا، و لم يتكرر تطبيق الرسم الواحد في أكثر من موضعين.

وبلغ مجموع الرسوم التي وضعت للزخرفة في ذلك الدور من العمارة أكثر من ستمائة رسم خصص قسم منها للرخام وآخر للإطارات الحجرية.

أما الكتابة فقد استغرقت وقتًا طويلاً أيضًا لتعدد المواضع التي حفرت عليها، وكان قسم منها في السابق مطليًّا بالدهان، فأسماء الخلفاء الراشدين والصحابة التي كان يراها زائر المسجد على جدرانه، نقشت الآن على قطع جميلة من الرخام الأبيض ووضعت في الأمكنة المخصصة لها.

وزخرفت الأقسام العليا من القبة بآيات قرآنية كتبت بالخط الكوفي الجميل، أما الكتابات التي أزيلت أثناء الإصلاحات فقد احتفظ بها في المتحف الإسلامي في الحرم الشريف.

بعد أن خطا العمل هذه الخطوات الحثيثة من التقدم وأشرف على الانتهاء رفع المهندس رشدي بك إلى المجلس الإسلامي الأعلى اقتراحًا يطلب فيه استدعاء المعماري كمال الدين بك للحضور إلى القدس لتفقد الأعمال التي تمت حتى ذلك الحين، فوافق المجلس الإسلامي على هذا الاقتراح ووجه الدعوة إلى كمال الدين بك للحضور إلى القدس في ٢٤ آيار سنة ١٩٢٦. فحضر في منتصف شهر



مدخل المسجد الأقصى المبارك الذي جرى إصلاحه

تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ أي بعد سنة ونصف من سفره، وبعد أن أجرى الكشف على جميع الأشغال والتعميرات بصورة دقيقة، رفع إلى المجلس تقريرًا باللغة التركية جاء فيه:

إلى سماحة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالقدس.

بناءً على كتابكم المؤرخ في ٢٤ مارس سنة ١٩٢٦ والذي تبلغونني فيه قرار المجلس الإسلامي الأعلى ولجنة العمارة مجتمعين من أن العمارة التي بدأت بها يجب أن تتم على يدي وتحت إشرافي وفقًا للشروط المتبعة بالكتاب، فحضرت للقدس بعد مُضيّ سنة ونصف من سفر هيئتنا السابقة واطلعت على جميع ما أنجز في غيابي من عمارة وما وضع من تصميمات. وفحصتها بدقة تامة، ويسرني أن أعلمكم بأن جميع الأعمال التي أنجزت إلى الآن بإشراف المهندس رشدي بك أحد أعضاء الهيئة السابقة قد أجريت بمهارة تامة وفقًا لما وضعته من الخطط والتصميمات، وأنني جد شكور وفخور بهذا التوفيق وقد وافقت على جميع التصميمات التي وضعها المهندس المذكور وزودته بالإرشادات اللازمة ليداوم على إتمام ما بدأ به من أعمال يستحق معها كل ثناء، وأنني تنفيذًا لقرار المجلس قد بحثت أمر القيشاني للصخرة المشرفة وفقًا لما وضعته الهيئة الفنية من الرسوم وسأرسل لإنجاز هذا الأمر معلمًا إخصائيًا بالقيشاني لصنع النماذج وتأسيس الفرن المطلوب بإشراف المهندس رشدي بك، فإذا تمت تلك النماذج أتولى فحصها بنفسي وأقرر ما إذا كانت موافقة وجامعة للشروط المطلوبة من الإتقان والمتانة بحيث تليق بهذا المكان المقدس، وحينذاك يباشر بالعمل ويوضع القيشاني في أماكنه وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

الأستاذ المعماري

كمال الدين

ولكن الظروف لم تساعد على تنفيذ الاقتراح الذي قدمه كمال الدين بك بصدد القيشاني.

استئناف العمل

بعد أن تم إصلاح القبة، استؤنف العمل في الجهة الغربية منها؛ حيث ظهر التشعث والتشقق في الأعمدة، والتيجان والقواعد. فنصبت السقائل والدعائم حول الأعمدة والجدران ورفع الرصاص والسقف الخشبي القديم ثم بنيت الأساسات بالخرسانة المسلحة وأبدلت القواعد والأعمدة والتيجان المشققة ونصبت فوقها الأقواس. ولحسن الحظ أن هذا العمل تم بسرعة فائقة وسار سيرًا طبيعيًا يدعو إلى الإعجاب إلى أن كانت الساعة الثالثة تقريبًا من بعد ظهر اليوم الحادي عشر من شهر تموز سنة ١٩٢٧ عندما حصل زلزال عنيف دام أكثر من خمسة وعشرين ثانية. فهدمت أبنية كثيرة في مدن مختلفة من البلاد، ولا تزال ذكراه عالقة في الأذهان ومعالمه باقية إلى الآن.

ولكن هذا الزلزال جاء تجربة قاسية لمتانة البناء الذي تم في المسجد ويقول الثقات إنه لولا تلك الإصلاحات أو بعبارة أخرى لو أن الزلزال حدث في العمل أو في أثنائه لما بقى من القبة أو بالأحرى من الأقسام الوسطى من المسجد حجرًا قائمًا، ولكن الأضرار التي تعرض لها المسجد انحصرت في سقوط قوس خشبي عن سقالته بينما كان يجري العمل فيه، فقتل العامل محمود الأسمر، رحمه الله، وأصيب بجراح بسيطة عدد من العمال... وظهور شق عمودي في منتصف عقد الرواق الأول من الجهة الغربية، وشقوق أخرى في أقواس الرواق السادس وعقوده... وحدوث تشعث في القطعة الممتدة من الأقسام السفلية من الجسر حتى الجسر الخامس من الجدارين الغربي والشرقي من الرواق المتوسط.

وقد تعرضت أنحاء أخرى من الحرم الشريف والمئذنة لأضرار لا مجال لذكرها الآن.

وقد استمر العمل بعد هذا الزلزال، ولكن الأمر تطلب توجيه العناية والاهتمام إلى الأبنية التي أصابها تصدع بالغ وخراب ظاهر.

واستمر العمل في الوقت نفسه في المسجد الأقصى، فبنيت الأقواس الغربية، وبُني السطح العلوي، ولكنه أنقص من ارتفاعه القديم لأنه كان يستر أكثر من نصف القبة وخفض ارتفاع الأسطح في الجهتين الشمالية والشرقية، فكشف عن قسم كبير من القبة وبرزت في حلة قشيبة تثير برونقها الاستحسان والإعجاب.

ورفع أيضًا الرصاص عن القبة والجناحين الغربي والشرقي وصب من جديد. وتقدر مساحة الرصاص المسكوب بـ ٨١٤ مترًا مربعًا وزنها ثلاثة وعشرون طنًّا و ٧٥٠ كيلو غرامًا، وهكذا قارب هذا الدور من الإصلاحات نهايته، بعد أن بلغ من النجاح والتوفيق غايته، ولكن بقيت بعض أعمال الزينة والزخرفة الضرورية. فهناك الواجهتان الشرقية والغربية لأقواس القبة في الناحية الشرقية وواجهات المحراب وهناك النوافذ الجصية للداخل والخارج.

ولقد جرت هذه العادة بانتظام ولكن صناعة النوافذ الجصية استغرقت جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلاً لا سيما لعدم وجود العمال الخبراء فيها، فاقتضى الأمر تدريب النابهين منهم على هذه الصناعة الدقيقة وتعليمهم طرق ممارستها، ومما زاد العمل صعوبة ولكنه أضفى على النوافذ رونقًا وفنًّا هو تطعيم النوافذ الجصية التي تزين واجهة المحراب بالفسيفساء. فبدا المسجد في حلة قشيبة تبهر الأنظار وتسحر الألباب.

ولابد من كلمة في هذا المقام عن العمال والمعلمين، لقد اقتضت طبيعة العمل ولوازم المشروع استخدام عمال ماهرين متخصصين في حرف تتعلق بالإنشاء والبناء، ولما كانت فلسطين في ذلك الحين تفتقر إلى مثل هؤلاء الرجال، فقد كان لزامًا على المهندسين التغلب على هذه الصعوبة وتوفير العمال الماهرين لكي يكفلوا نجاح المشروع وإتقانه. والعمال المتخصصون القلائل الذين جاءوا من خارج البلاد ما لبثوا أن غادروها، وأخص بالذكر منهم عمال الجص، ولكنهم درَّبوا العمال المحليين في هذه الصناعة الدقيقة ثم شهدوا لهم بإتقانها.

وقد اقتضت أعمال النحاس ونقشه إيفاد معلم إلى دمشق؛ هو السيد محمد الغضبان للتدريب على هذه الصنعة وتعلم أصولها، وقام بعد ذلك بنقش الصفائح النحاسية التي تكسو شدادات أقواس القبة.

وثمة نتيجة أخرى هي توفير مبالغ كبيرة من الأموال على خزينة الحرم الشريف وإنفاقها في وجوه أخرى من نواحي الإصلاحات في المسجد الأقصى. وهكذا يكون هذا الدور من الإصلاحات قد تم ولكنه وضع في الوقت نفسه مشروعًا لتجديد القسم الذي يقع تحت السقف الخشبي في الأروقة المتوسطة الواقعة بين الجدار الشمالي وقوس القبة الشمالي، وقد شمل هذا التجديد في الدور الثاني من الإصلاحات، ولكن التصميم الذي وضع له يختلف عن التصميم الذي وضعته الهيئة الفنية.

ولإيفاء الموضوع حقه نورد وصفًا موجزًا لتصميم الهيئة الفنية، لاسيما وأن المجلس الإسلامي الأعلى في ذلك الحين أقره وعرضه للمناقصة في الجرائد الفلسطينية والمصرية والسورية ولكنه تقرر إرجاؤه إلى وقت آخر.

ويتضمن هذا المشروع تجديد القسم الواقع بين مدخل المسجد من الشمال وسطح القوس الشمال للقبة الحالية، وبين غربي حائط الرواق الثاني من الشرق وشرقي الرواق الثاني من الغرب.

إن هذا الوصف المقتضب يحتاج إلى خيال واسع ومعرفة تامة للمسجد لإدراك كنهه وصفته ولكنه ينطوي بعبارة أخرى على إزالة الشكل (البازيليكي) للمسجد وبنائه على نمط إسلامي معروف.

غير أن دائرة حفظ الآثار العربية رأت عدم التقيد بهذا التصميم ووضعت تصميمًا خاصًا نورده في الباب الثاني من هذا البحث

النتيجة

تمتاز الإصلاحات الحديثة الأولى بميزة هامة لابد من التنويه بها والإشادة بذكرها، ألا وهي اهتمام العالمين العربي والإسلامي بهذه الإصلاحات وحرصهما على تتبع سيرها وتقدمها منذ بدئها حتى نهايتها ومؤازرة مشروعاتها مؤازرة مادية ومعنوية.

ونجمل الحديث هنا في نقطتين ... أولاهما عن الوفود التي ذهبت من فلسطين إلى البلاد العربية والإسلامية المختلفة، وثانيتهما الافتتاح العظيم الذي جرى على أثر انتهاء العمارة في المسجد الأقصى.

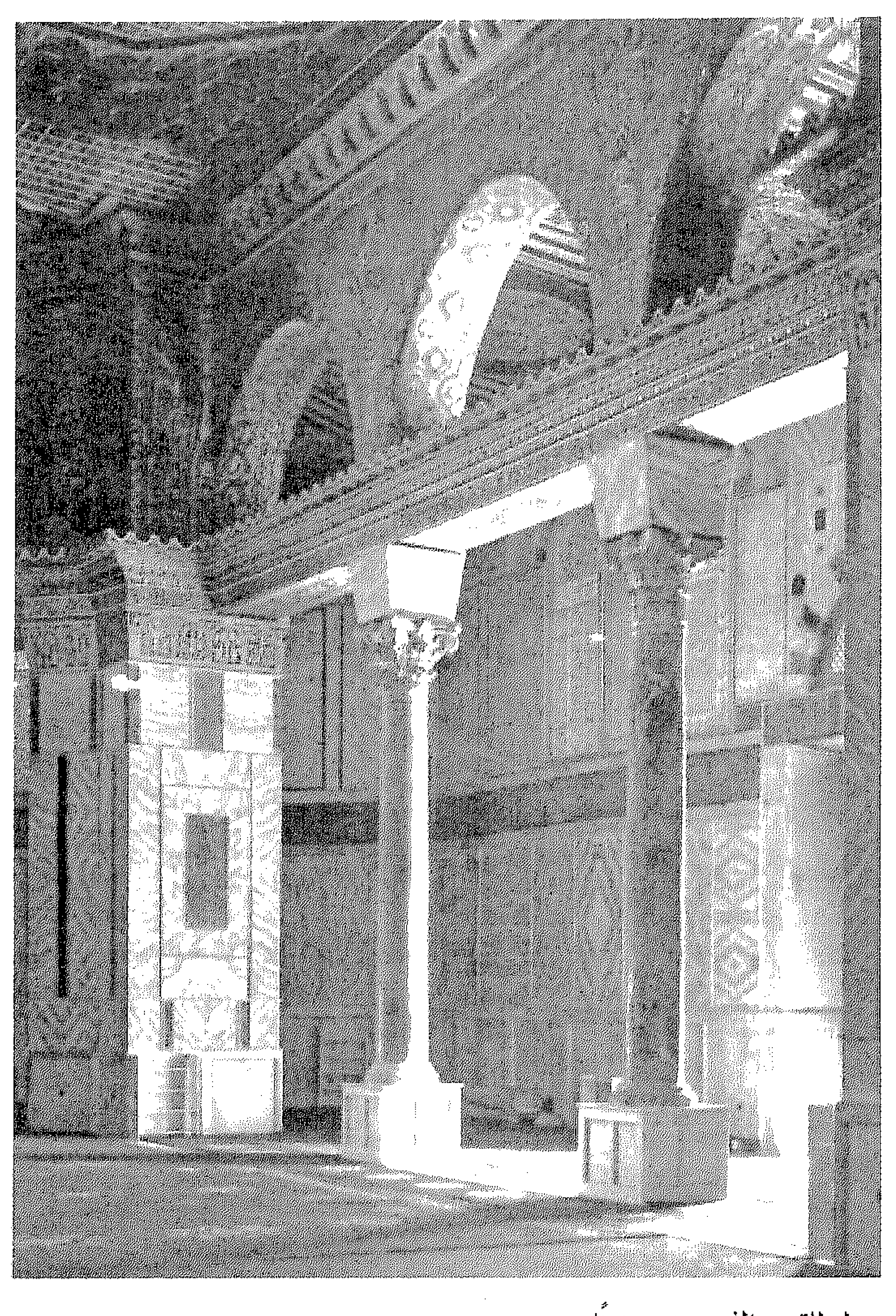
الوفود إلى العالم الإسلامي والعربي.

اقتضت المهمة المالية للمشروع توجيه دعوة إلى مسلمي العالم كافة أن يُقبلوا على مؤازرة المشروع بالمال لما للمسجد من مركز ديني مقدس، فأرسلت وفود متعددة إلى البلاد الإسلامية لبث الدعاية للمشروع وإيقاف الرأي العام على ضرورته وأهميته، وكان أول وفد تألف لهذه الغاية هو "الوفد الفلسطيني الأول إلى الديار الحجازية المباركة".

ثم تألفت وفود أخرى اشتملت على وفد ثانٍ للديار الحجازية، ووفود للآستانة والعراق ومصر والهند.

واقتضى المشروع أن يكون له في القدس لجنة مركزية تشرف على سيره وتتولى إدارة شئونه المالية فتألفت في ٢ تموز سنة ١٩٢٣ لجنة خاصة عرفت "بلجنة عمارة المسجد الأقصى"، وطلب من جميع البلاد التي ساهمت في نفقات العمارة أن ترسل عضوًا يمثلها في اللجنة. وكانت تتألف من السادة:

- الشيخ خليل أفندي الخالدي



منظر للقسم الذي جدد حديثًا

- الشيخ موسى أفندي البديري
- الشيخ حسام وفا الدجاني
- فيضي بك العلمي
- سعيد بك الحسيني
- روحي بك عبد الهادي
- عارف أفندي حكمت النشاشيبي
- إسحاق أفندي الشهابي
- بدر أفندي صهوب
- عادل أفندي جبر
- عبد القادر أفندي العفيفي

– الحاج عبد الرزاق الشهابي.

وقد كانت عناية صاحب الجلالة الهاشمية المغفور له الملك حسين بالعمارة بالغة مبلغًا عظيمًا، محفوظة بالذكر إلى ما شاء الله. وكان جلالته قد طلب إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله المعظم أن يزور الحرم الشريف ويتفقد مشروع العمارة ويبين النفقات اللازمة. وقد قام سموه بهذه المهمة ووضع تقريرًا ضمنه وصفه المشروع إجمالاً وتفصيلاً وأرسله إلى جلالة والده الذي أولى المسجد الأقصى عطفه السامي ونداه الهاشمي، وتبرع له بمبالغ كبيرة من المال، بلغ مجموعها تسعة وثلاثين ألف جنيه تقريبًا.

ولقي الوفد إلى المملكة العراقية من صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل الأول عطفًا ساميًا واهتمامًا أكيدًا بالمشروع وقد زار جلالته العمارة قبيل وفاته بزمن قصير وكتب بيده الكريمة في السجل الذهبي المحفوظ في المتحف الإسلامي الآية الكريمة:

"إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ".

ونذكر بهذه المناسبة أن شبله فيصل الثاني زار الحرم الشريف وعمارة المسجد الأقصى في أثناء زيارته للقدس في نيسان سنة ١٩٤٣.

أما وفد مصر فقد حظي بمقابلة صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول وبسط لجلالته المشروع مبينًا أسبابه وغاياته، مفصلاً ماهيته وخطورته، فاهتم جلالته بالمشروع وتلطف بوضع مهمة الوفد في مصر تحت رعايته الملكية، ولم تدخر الحكومة المصرية بعد ذلك وسعًا في سبيل النهوض بالمشروع؛ إذ أوفدت المهندسين الإخصائيين إلى القدس في مناسبات متعددة، وأخذت دائرة الآثار العربية على عاتقها مهمة الإشراف على العمارة في دوريها الأخيرين، الثاني والثالث، ويشرف مديرها الحالي على سير العمل بنفسه مبالغة منه في العناية والاهتمام.

حفلة الافتتاح

"إنه لمن دواعي اغتباطي أن يتاح لي اليوم تلبية دعوة سماحتكم لحضور افتتاح عمارة قبة المسجد الأقصى المشرفة بمناسبة انتهاء أعمال العمارة بعد أربع سنوات كاملة من العمل المقرون بالجد والنشاط. إن إنقاذ هذا المسجد من الخطر الشديد الذي كان يتهدده وعمارته على شكل يتفق تمام الاتفاق مع مبادئ الفن العربي في أوج ازدهاره لعملٌ يذكر بالثناء العظيم على سماحتكم وجميع الذين تعاونوا معكم على القيام بهذا الواجب العظيم الأهمية للعالم الإسلامي ويجلب مسرة كبيرة لنفوس أولئك الذين يستفزهم الفن الحقيقي، لقد قمتم بهذا العمل بجهود المسلمين المحضة وبموارد قليلة سواءً من الوجهة المالية أو من وجهة أهم هي الوجهة الفنية.

وإنني أغتنم فرصة تهنئتي سماحتكم على قيامكم بهذا العمل الجليل لأعرب عن إعجابي بالأعمال الهندسية المعمارية والفنية التي تمت تحت إشراف رشدي بك، وعن الأسف الذي أعتقد بأن جميع الحاضرين يشاطرونني إياه لأن المرحوم كمال الدين بك لم يتسن له رؤية هذا اليوم، ولقد سرني ما تفضلتم به سماحتكم بشأن المستر رتشموند– ذلك الصديق الوفي للفن الإسلامي.



قسم من العمارة الحديثة في المسجد الأقصى

وقد اشتركت في ذلك الاحتفال وفود كثيرة من البلاد الإسلامية وحضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله نائبًا عن جلالة والده وممثلاً لإمارته، وألقى يومها خطابًا جامعًا جاء فيه قوله الكريم:

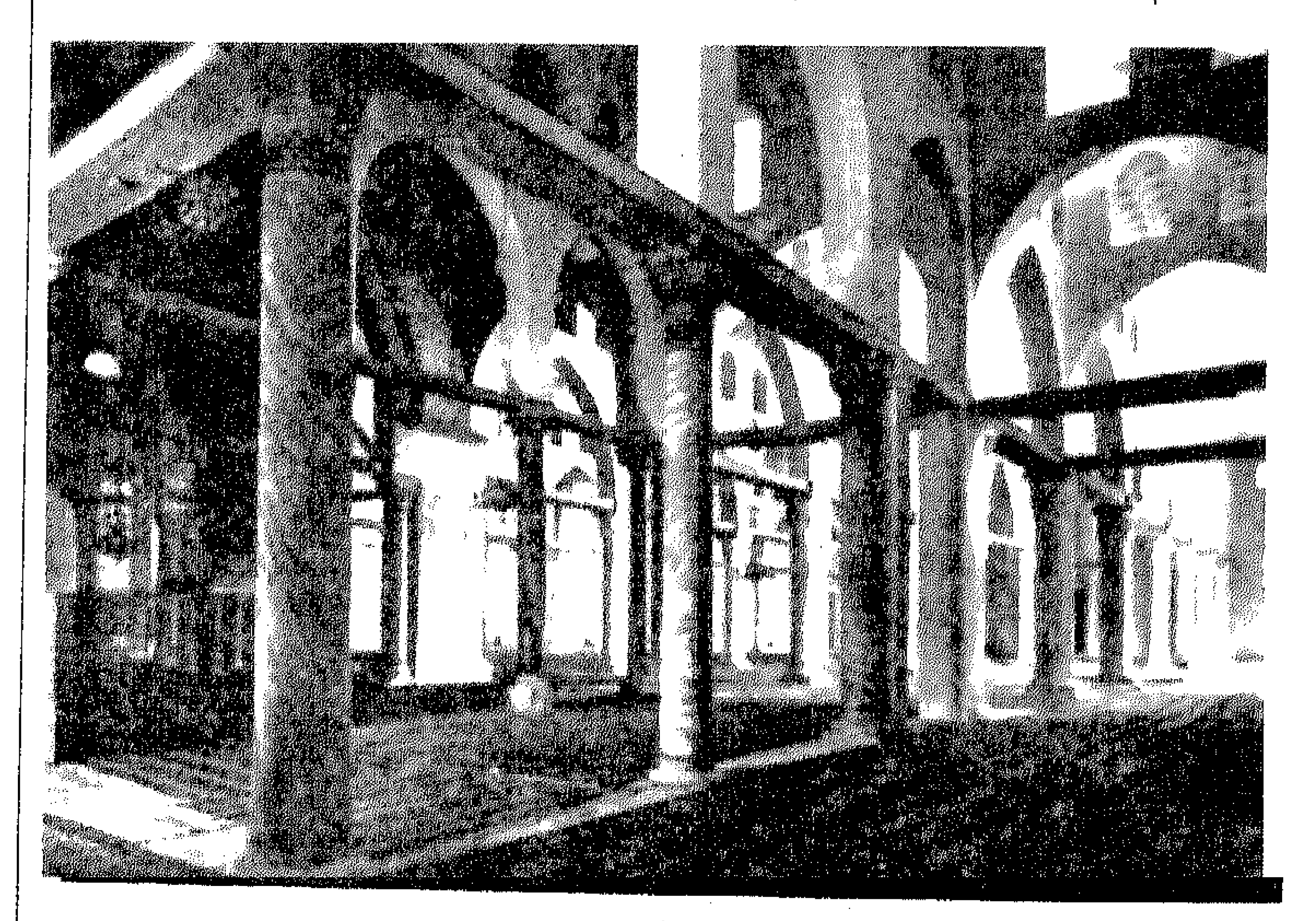
ولا يمكنني أن أكتم ما أجده من السرور والاغتباط بالحضور في هذا اليوم التاريخي الذي يشهد به هذا الجمع المحترم ما تم من عمارة المسجد الأقصى الشريف...

إن المساعدة التي قدمها والدي لهذا الغرض الشريف ليست سوى نبذة مما قام به في سبيل الله ولإعادة المجد العربي والصولة القومية إلى ما كانت عليه.. وإن الله هو المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وألقى المرحوم عبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة سابقًا كلمة جامعة قال فيها:

إن هذا العمل لمن أبرز الأعمال التي قام بها المسلمون متضامنين في نهضتهم الأخيرة. وإن الأمم الناهضة والشعوب الراقية تعني العناية كلها بالمحافظة على العظيم من آثارها. والمسجد الأقصى هو أحد الأماكن الإسلامية المقدسة والمساجد التي تشد إليها الرحال.

إن هذا اليوم لمن أسعد الأيام في تاريخ نهضتنا الحديثة، إنه يوم أغر محجل، يوم تمثلت فيه روح التضامن والإخاء



الأعمدة الرخامية في الرواق الأوسط

وتناجت فيه القلوب والأرواح.

ونختتم هذا البحث بالنبذة التالية نقتطفها من البيان الذي ألقاه رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في ذلك اليوم.

"نرى من الواجب أن نتقدم بالشكر لله أولاً ثم لإخواننا المسلمين الذين بذلوا من أموالهم وجودهم في سبيل الاحتفاظ بهذا المسجد المبارك ومعاضدة مشروع عمارته فكانوا بذلك ممن عمر مساجد الله و (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)".

ومما هو جدير بالذكر في هذه العمارة:

أولاً: أنها قامت بأموال أفراد المسلمين مع أن جميع العمارات التي سبقتها لهذا المسجد، كانت بأموال الحكومات والملوك، فكشفت عما في نفوس العالم الإسلامي من عطف على هذا المسجد، وعما في المسلمين من استعداد للتعاون على البر والتقوى وتلبية كل دعاء إلى خير، ولقد لاقت الوفود التي أرسلت إلى الأقطار الإسلامية عطفًا كبيرًا في كل مكان وصدورًا رحبة وإخاء صادقًا. وإنما نعد هذا الشعور والعطف نجاحًا فوق كل نجاح لاقته هذه الوفود أيضًا، ومما يسر أن نذكر لكم أن المسلمين في مقاطعة يونان من بلاد الصين قد لبوا الدعاء على ما بيننا وبينهم من بعد شاسع.

ثانيًا: لم تقتصر فائدة هذه العمارة على ترميم المسجد الأقصى فحسب بل تجاوزته إلى تعليم عدد غير قليل من أبناء بلاد الصناعات النفيسة الدقيقة كصنع هذه النوافذ الجصية. وهذا زجاجها أيضًا صنع في معامل الزجاج الوطنية في الخليل. وكصناعة الجص النافر الذهب الذي ترون أنموذجًا منه. وصناعة تركيب الفسيفساء هذه التي ترونها وقد صنعها جميعها عمال وطنيون، وكصناعة سبك الرصاص المصفح

به هذا المسجد وصناعة النحاس الذي يحيط بهذه الشدادات الخشبية وكإتقان صناعة النقش والنحت وتعميم صناعة النحاس الذي يحيط بهذه الشدادات الخشبية وكإتقان صناعة النقش والنحت وتعميم صناعة الخرسانة المسلحة ولم يكن عمالنا يعرفونها من قبل. وغير ذلك من الصناعات".

ثالثاً: وإنا نرى من الواجب المحتم علينا أن نشكر هنا صاحب الأيادي البيضاء على هذا المشروع وأعظم متبرع له وأكرم مساعد عليه صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الذي نقش اسمه على أركان هذه القبة، ولقد نقشت كذلك أسماء كبار المتبرعين الذين نذكر لهم تبرعهم بالشكر الجزيل وهم: صاحب الجلالة الملك فيصل الأول ملك العراق وصاحب العظمة نظام حيدر أباد والموالي طاهر سيف الدين. ونشكر أيضًا تبرع حضرة صاحبة السمو أميرة بهوبال. وكل من ساعد هذا المشروع بماله أو بعطفه".

وإنا لنشكر من صميم القلب لجنة عمارة الحرم الشريف التي قامت بخدمات عظيمة، ونشكر الوفود التي تجشمت المشاق في سبيل هذا المشروع والهيئة الفنية على ما بذلت من الجهود الكثيرة ونشكر جميع من عمل في هذا السبيل من وفود ولجان ومهندسين ورسامين وعمال وموظفين وكل من تفضل بتلبية دعوتنا وشهد احتفالنا هذا أو أناب عنه أو اعتذر ونشكر بصورة خاصة صاحب السمو الأمير المعظم الذي تفضل بتلبية دعوتنا والذي عطف على هذا المشروع عطفًا كبيرًا".

ونشكر الحكومة المصرية التي تفضلت بإرسال مهندسين من قبلها للاشتراك في مؤتمر المهندسين.

رابعاً: ويهمنا أن نسترعي الأنظار إلى أن هذا الاحتفال هو افتتاح للعمل وأنموذج منه. وهو ابتداء لا انتهاء، فإن الحرم الشريف لا يزال يحتاج إلى جهود عظيمة لإصلاحه وإيصاله إلى الدرجة التي تليق به وتليق بكرامة أربعمائة مليون من المسلمين تجله وتقدسه".

وإنا سنواصل السعي بإذن الله في طريقنا والمثابرة على العمارة واثقين كل الثقة بعون الله وعطف العالم الإسلامي لمشروعنا. والله الموفق.

شعر المجلس الإسلامي الأعلى قبيل عدة سنوات أن خطرًا جديدًا يتهدد المسجد الأقصى المبارك فبادر في شهر آذار سنة ١٩٣٨ إلى طلب بعثة فنية من المهندسين المصريين المشتغلين بالآثار القديمة فانتدب لهذه المهمة عبد الفتاح حلمي بك المدير الحالي لدائرة حفظ الآثار العربية في القاهرة ومحمد نافع بك وكيلها السابق. فقدما من فورهما إلى القدس وفحصا حالة المسجد من كل نواحيها فحصًا دقيقًا وأشارا باتخاذ بعض الترتيبات الضرورية لمنع بعض الأقسام المتداعية من السقوط ثم وضعا تقريرًا عن حالة المسجد وما رأيناه من علاج ناجع وأرفقا تقريرهما بتصميم للإصلاح، وقد نفذ هذا التصميم، وأوشك الآن على التمام تحت إشراف مهندس إدارة حفظ الآثار العربية بمصر.

وتتلخص الأسباب المباشرة للإصلاحات في أن المجلس الإسلامي الأعلى أوفد في أوائل سنة ١٩٣٨ مندوبًا عنه؛ هو السيد فياض الخضرا مع مهندس دائرة الأوقاف العامة السيد فياض الخضراء مع مهندس دائرة الأوقاف العامة السيد محمد رمضان للكشف على تشعث في أحد جدران الرواق الأوسط وإصلاحه، ولما أشار المهندس بإزالة القصارة تمهيدًا لأعمال الإصلاح هاله ما رأى وأذهله ما وجد. لقد وجد أن التشعث خطير والتصدع كبير، وأن الحالة تستدعي إصلاحًا شاملاً وتجديدًا كاملاً. فرفع الأمر إلى المجلس الإسلامي الأعلى الذي بادر توًا إلى استدعاء مندوبي دائرة الآثار العربية كما ذكر آنفًا.

ودعت الضرورة قبل المباشرة بالعمل إزالة الخطر العاجل؛ فأشار المهندس باستعمال ساندات خشبية كبيرة، يزيد طول الواحدة منها على عشرة أمتار. وقد أحضرت من بيروت لعدم وجودها في فلسطين وبعد أن تم وضعها بدئ بأعمال الهدم.

وقد بدئ بتنفيذ التصميم المشار إليه في شهر تموز سنة ١٩٣٨، ولولا ظروف الحرب القائمة، وما نشأ من صعوبات في الحصول على مواد البناء والنقل لانتهت أعمال الإصلاح في سنتين منذ تاريخ المباشرة بها، وهي المدة التي قدرت بل حددت لإتمام هذا العمل.

وينتظر أن تتم الأعمال القائمة الآن بالمواجهة الشمالية ومحراب زكريا في الرواق الشرقي من المسجد في أواخر شهر سبتمبر سنة ١٩٤٣. ويرجى أن يشرع بعدئذ في صنع السقف الخشبي تحت "الجمالون" الجديد بالرواق الأوسط طبقًا للتصميم الذي وضعته إدارة حفظ الآثار العربية في القاهرة.

وقد استُخدم في أعمال الإصلاح هذه، عمال وصناع إخصائيون من فلسطين، واستُدعي من مصر عمال فنيون للزخرفة، وتنفيذ الرسوم التي وضعت للقسم الشرقي، وصنع الشبابيك الجصية المفرغة والمطعمة بالزجاج الملون. وهي أعمال فنية دقيقة لا يتوافر على إتقانها إلا القليلون من مهرة الصناع.

ويبلغ عدد هذه الشبابيك الجصية ١٦٥ شباكًا؛ رُكِّب اثنان وأربعون شباكًا منها فوق عقود الرواق الأوسط من الداخل، وركب اثنان وأربعون شباكًا أخرى من الخارج.

ورُكِّب بالواجهتين الشمالية والشرقية من القسم الشرقي ثلاثون شباكًا من الداخل يقابلها تسعة وعشرون شباكًا من الخارج".

وهناك ثلاثة شبابيك كبيرة من الداخل ومثلها من الخارج على مدخل الرواق الأوسط. ووضع فوق الأبواب السبعة بالواجهة الشمالية سبعة شبابيك نصف دائرية من الداخل ومثلها من الخارج، وهناك شباك من الجص المستدير يشغل وسط صدر محراب زكريا، ويعتبر هذا من أدق ما صنع بالمسجد من الزخارف والشبابيك الجميلة. ويقابله من الخارج شباك جميل آخر.

ومن الأعمال الفنية الدقيقة التي تستحق الذكر والتي تمت بمنتهى الإتقان والإبداع تيجان الأعمدة الرخامية الأربعة والعشرين. وقد جاءت مطابقة تمامًا للتيجان القديمة. وقد قام بهذا العمل صناع فنيون من القدس، شهد لهم المهندسون بالمقدرة والكفاءة في هذا النوع من العمل الدقيق.

وترجع علاقة إدارة حفظ الآثار العربية بالحرم القدسي الشريف وبالتالي بالمسجد الأقصى المبارك إلى أول سنة ١٩٢٤ عندما طلب المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى حينذاك من وزارة الأوقاف - حيث كانت إدارة حفظ الآثار العربية وقتها تابعة لها - مندوبًا من قبلها ليشترك في المؤتمر المعماري الذي تقرر عقده بالقدس الشريف لفحص المشروعات التي أعدتها الهيئة الفنية برئاسة المرحوم كمال الدين بك لإصلاح المسجد وعلى الخصوص قبته فانتدبت الوزارة أحد مهندسيها محمود أفندي أحمد (محمود أحمد باشا مدير دائرة حفظ الآثار العربية بعد ذلك) فحضر إلى القدس في شهر شباط من السنة نفسها وبصحبته المرحوم مصطفى حمدي القطان بك مدير الأعمال بوزارة الأشغال واشتركا معًا في أعمال المؤتمر الذي عقد جلسة نهائية في ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٤ لتقرير الطريقة الفنية المثلى للمشروع. وقد جاء في قرار المؤتمر النبذة التالية التي نعيد ذكرها.

"وبعد الفحص والتدقيق في حالة قبة المسجد الأقصى والجزء السفلي منها والمشاريع الثلاثة التي قدمها حضرة الأستاذ كمال الدين بك والتقدير الذي قدمه المندوبان

المصريان، وبعد البحث الوافي قررت اللجنة بالإجماع قبول المشروع المصري وأساسه تقوية البناء مع المحافظة عليه جهد المستطاع وتزيد الهيئة على ذلك أنه وإن كان المشروع الأول المتعلق بالتجديد والذي اختاره المعماري كمال الدين بك ذا نتيجة أقوى وأجمل إلا أنها تؤثر بالإجماع المشروع المصري لاعتبارات أثرية ودينية واجتماعية".

وترون أن قرار المؤتمر صريح جداً فيما يتعلق بالأخذ بالمشروع المصري.

وفي ٢٠ شباط سنة ١٩٣٦، قدم السيد سالم الحسيني مفتش دائرة الآثار الفلسطينية تقريرًا إلى المجلس الإسلامي يلفت فيه نظره إلى ظهور خلل في الجهتين الشرقية والغربية من المسجد الأقصى ويقترح الاستعانة بلجنة الآثار العربية بمصر للعمل على إصلاح هذا الخلل فكتب المجلس خطابًا إلى وزير الأوقاف في ٧ شباط سنة ١٩٣٨ طلب فيه إيفاد خبير لمعاينة هذا الخلل وفي ٢٢ شباط سنة ١٩٣٨ كتب المجلس إلى جناب السير مايلز لمبسون (اللورد كليون الآن وهو السفير البريطاني في مصر) لمخابرة وزارة المعارف للإسراع في إرسال المهندسين المصريين.

وفي ٢٦ شباط سنة ١٩٣٨ انتدبت دائرة حفظ الآثار العربية في القاهرة محمد نافع بك وكيل الدائرة وعبد الفتاح حلمي بك مفتش الهندسة في ذلك الحين ومدير الدائرة الآن لزيارة القدس وتفقد المسجد الأقصى.

وقد وضعت دائرة الآثار العربية تقريرًا فنيًا نورده فيما يلي شاكرين لها فضلها لسماحها لنا بنشره لأول مرة.

مشروع إصلاح المسجد الأقصى المبارك

وصف المسجد

يقع المسجد الأقصى في الطرف الجنوبي من فناء الحرم الشريف، ويشغل بوضعه الحالي حيزًا مستطيل الشكل طوله ٦٩ مترًا وعرضه ٥١ مترًا تقريبًا وهو يتكون من رواق أوسط كبير يؤدي إلى المحراب تكتنفه من كل من الجانبين ثلاثة أروقة أقل منه ارتفاعًا ويغطيه "جمالون" ضخم من الخشب المصفح بألواح من الرصاص وينتهي من الجهة القبلية بقبة مرتفعة أمام المحراب، أما الأروقة الجانبية فممتدة من الشمال إلى الجنوب موازية في ذلك للرواق الأوسط ويغطي الرواقين المجاورين مباشرة للرواق الأوسط سقفان من الخشب، أما بقية الأروقة الجانبية فمغطاة بقبوات مصلبة ومحمولة على عقود ترتكز بأطرافها على أكتاف من الحجر بخلاف الأروقة الأخرى فإنها محمولة على صفوف من الأعمدة.

وأمام الواجهة الشمالية للمسجد رواق ذو سبع فتحات معقودة يقابلها سبعة أبوب تؤدي إلى داخل المسجد، ويوجد في الجانب الشرقي بابان يؤدي أحدهما إلى مسجد سيدنا عمر والآخر إلى فناء الحرم، كما يوجد في الجانب الغربي بابان أيضًا أحدهما يؤدي إلى مسجد النساء والآخر إلى ساحة الحرم، وبجوار المحراب باب يؤدي إلى بناء قديم.

التصدع الذي حدث بالمسجد وأسبابه

بعد فحص مباني المسجد من جميع نواحيه سواءً من الداخل أو الخارج تبين أن التصدع الذي حدث به يتركز بحالة خطيرة في موضوعين:

أولًا: بالقسم الشرقي.

ثانياً: بالرواق الأوسط الكبير.

أما فيما عدا ذلك فحالة المباني لا تدعو إلى القلق فهي حافظة لكيانها، ولو إنه في جهات متفرقة منها بعض شروخ وميول بسيطة لا أهمية لها. لذلك تناولنا في بحثنا الموضعين الخطيرين الآنفي الذكر.

ففيما يتعلق بالقسم الشرقي ظهر لنا أن المصلبات التي تغطيه تحمل أتربة وأنقاضًا بارتفاع يقرب من مترين في بعض المواضع يعلوها ألواح من الرصاص. والذي حدث بهذا

القسم هو عبارة عن انفصالات في صف العقود المتعامدة على صف العقود الثالث شرقًا، تبعها تفكك وشروخ في مباني المصلبات ثم ميل وتكسير مخيفين في أحد الأعمدة الحاملة لهذا الوصف وأيضًا تفكك في المباني بحالة خطيرة عند تلاقي أحد العقود المتعاقدة مع صف العقود المذكورة. وإن التصدع الحالي في هذا القسم كان نتيجة للعوامل الآتية وهى:

أولاً: بناء المصلبات بطريقة غير فنية لم يراع فيها مقاومة قوة الدفع التي لابد من حدوثها من تأثير ثقل العقود والمصلبات مع ما يعلوها من ثقل الأتربة والرصاص وغيرها.

ثانيًا: ضعف مئونة البناء وتحللها بمضي الزمن.

ثالثًا: فعل الزلزال قديمًا وحديثًا وما تسبب من حدوث حركة في المباني.

حدث هذا التصدع منذ سنتين عولج في وقتها ببناء بعض دعائم ساندة لوقف تأثير قوة الدفع أرجل عقود المصلبات المتعامدة على صف العقود الثالث من الناحية الشرقية، إلا أن ذلك لم يُجد كثيرًا بدليل استمرار الحركة وظهور الشروخ والتفكك مرة أخرى سواءً في المصلبات أو العقود.

إزاء هذه الحالة الخطيرة رأينا الإسراع في عمل صلبات خشبية لحمل بعض العقود وما تحمله. ثم عمل دعامتين ساندتين إحداهما لسند العمود المائل السالف الذكر والأخرى لسند المباني المفككة المذكورة آنفًا. وقد تمت هذه الصلبات على خير وجه وفي أقصر وقت ممكن وأصبح القسم الشرقي بذلك مأمونًا على شرط أن يشرع في الإصلاح فى أقرب وقت طبقًا للمشروع الذي وصفناه له. ولكون هذا القسم أصبح مشغولاً بالصلبات والدعائم والسقايل فقد عملت حواجز خشبية بسيطة حوله لمنع الصلاة فيه مؤقتًا.

أما الرواق الأوسط الكبير فالذي حدث فيه هو أن الأعمدة الحاملة لعقوده لم تقو على تحمل الضغط الواقع عليها فظهرت فيها شروخ رأسية وتكسير في الحجر ويرجع السبب في ذلك:

أولاً: إلى ضعف مادة الحجر عن تحمل الأثقال الواقعة عليها.

ثانيًا: إلى بناء هذه الأعمدة من مداميك قليلة الارتفاع وعدم التبسيط بينها جيدًا بالمؤنة مما أدى إلى حدوث هذا التكسير. ذلك فيما يتعلق بالأعمدة أما بالنسبة للمباني التي تعلو عقود هذا الرواق فقد تبين لنا أن بالغربية منها ميلاً شديدًا للخارج (لجهة الغرب) من أعلى وبوزنه ظهر إنه حوالي ١٠ سم في المتر وأن المباني في هذا الجزء المائل مفككة ومؤنتها ضعيفة جداً. ويرجح أن هذا التصدع حدث منذ زمن بعيد عولج بسد فتحات الشبابيك العلوية تقوية لها. فلحفظ كيان هذا الجزء مؤقتًا عملنا على تفريغ لحامات مبانيه وملئها بمؤنة الأسمنت وهو إصلاح مؤقت لحين البدء في تنفيذ مشروع الإصلاح.

مشروع الإصلاح

عند التفكير في إعداد مشروع الإصلاح كان أحب شيء إلينا أن نوفق إلى طريقة تمكننا من ترميم ما تصدع من المسجد وإصلاحه وخصوصًا في القسم الشرقي منه دون الالتجاء إلى هدم أي جزء من أجزائه إلا أن الحالة بلغت من الخطورة بفعل العوامل السالفة الذكر مبلغًا أصبح معه من المتعذر إبقاء هذا القسم وترميمه بحالته الراهنة، لهذا السبب ولأن الدعائم الساندة التي أضيفت في أوقات مختلفة إلى البناء شوهت من نظام هذا القسم لم نر بدًا من هدمه مبتدئين من الأعمدة المحاذية للواجهة البحرية للقبة إلى الحائط البحري للمسجد ومن الحائط الشرقي للمسجد إلى حبل الطارات الشرقي للرواق الأوسط.

وعند البحث في إعادة بناء هذا القسم وماهية النظام الذي يجب اتباعه واجهتنا حالتان:

الأولى: إعادة بنائه كما هو إلا أن أي قبوات مصلبة تحملها عقود ترتكز على أكتاف مربعة القطاع في الرواقين الشرقيين وسقف مستوٍ محمول على صفين من العقود المرتكزة على أعمدة أسطوانية في الرواق الثالث من الشرق.

الثانية: إعادته إلى ما كان يجب أن يكون عليه طبقًا لتخطيطه الأصلي في أيام العباسيين وعمارة الظاهر لدين الله الفاطمي سنة ٤٢٦هـ. التي لم تغير من تخطيطه العباسي سوى تضييقه من الشرق والغرب بإزالة بعض الأروقة الجانبية، وهذا التخطيط كان مكونًا من رواق أوسط كبير ينتهي من الجهة الجنوبية بقبة أمام المحراب وتكتنفه سبعة أروقة أخرى من كل من الجانبين أقل منه ارتفاعًا، وجميعها ممتد من الشمال إلى الجنوب وعقودها محمولة على عمد أسطوانية هذا هو تخطيط المسجد في العهد العباسي يؤيد ذلك أولاً ما ذكره المقدسي ثم ناصر خسرو في رحلته. وثانيًا البقايا الأثرية التي لاتزال موجودة وهي (أ) صفا أعمدة الرواق- الأوسط اللذان يرجح أن يكونا من عمل الظاهر لدين الله الفاطمي (ب) صف الأعمدة الكائن شرقي الرواق الأوسط (ج) عمود الطرف الجنوبي لصف الأعمدة التالي لما تقدم من الشرق والذي يماثل باقي الأعمدة المذكورة سابقًا.

وبعد أن استعرضنا المشروعين وهما:

أولاً: إصلاح المسجد مع الاحتفاظ بشكله الحالي.

ثانيًا: إصلاحه مع الرجوع إلى تخطيطه الأصلي في العهدين العباسي والفاطمي. ولما تبين لنا أن القبوات المصلبة عملت في عهد الصليبيين على نظام مغاير للتخطيط الأصلي للمسجد رجح لدينا تنفيذ المشروع الثاني دون الأول.

هذا فيما يتعلق بالقسم الشرقي، أما بالنسبة للرواق الأوسط فقد رأينا أيضًا هدمه وإعادة بنائه على نظامه الحالي والاستعاضة عن الأعمدة الحجرية بأخرى رخامية من قطعة واحدة واستبدال الجمالون الخشبي بآخر من الحديد الصلب.

تفاصيل المشروع

راعينا في إعداد المقايسة الابتدائية لمشروع الإصلاح إدخال جميع مواد البناء الصالحة للاستعمال. فالأحجار المتخلفة من الهدم بعضها والأخشاب الصالحة أدخلت في عمل الجمالونات والسقوف، أما الأعمدة المكونة من مداميك من الحجر فاستعيض عنها بأعمدة من رخام قطعة واحدة، كما اتبع في أعمدة الرواق الأوسط واستبدلت الأوتار الخشبية الرابطة لأرجل العقود والتي ظهر تسويسها وتلفها بأخرى من حديد أسفل عقود الرواق الأوسط وأسفل عقود الأروقة الجانبية، أما سقف القسم الشرقي فعمل من الخرسانة المسلحة على هيئة قطع مستديرة تحيط بها أشكال هندسية.

وقد اخترنا هذا النوع من السقوف لوجود نظير له بالسقف الذي يعلو محراب سيدنا زكريا الذي نرجح أنه من عمل السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأيضًا بأجزاء من قبة الصخرة الشريفة ذلك فضلاً عن جمال منظره. وتعمل السقوف التي على هذا الشكل عادة من الخشب إلا إنه زيادة في المتانة وحفاظًا لها من التلف استعيض عن الخشب بالخرسانة المسلحة.

وقد روعي ربط الأعمدة وحوائط المسجد بمدة من الخرسانة المسلحة عند مستوى السقف.

أما أساسات أعمدة القسم الشرقي والرواق الأوسط فقد عملت جميعها من قواعد من الخرسانة المسحلة أعلى فرشات من الخرسانة العادية.

تنفيذ المشروع

عهد إلى شركة مشتل ورولان بالقيام بتنفيذ هذا المشروع تحت إشراف إدارة حفظ الآثار العربية فأتمته على خير وجه، إذ قامت بعمل أساسات الأعمدة والحائط الشرقي وأقامت الأعمدة الرخامية وعددها ٢٤ عمودًا، وأتمت بناء العقود وما يعلوها من مبانٍ بالحجر المستخرج من محاجر فلسطين وصبت السقف المسلح للقسم الشرقي – وركبت الجمالون الحديدي أعلى الرواق الأوسط وبلطت أرضية هذا القسم وذلك الرواق بالبلاط الحجري.

وقد أتمت كل هذه الأعمال طبقًا للرسومات والتصميمات والمواصفات المقدمة من إدارة حفظ الآثار العربية.

هذا، لا يفوتني أن أنوِّه بشدة إلى اهتمام المجلس الإسلامي بأمر تعمير هذا المسجد المبارك فهو على الرغم من ظروف الحزب قد باشر هذا العمل المجيد واستمر فيه حتى قارب على الانتهاء وقد شرع في ترميم وإصلاح الأحجار التالفة والمتآكلة بالواجهة الشمالية للمسجد ومحراب زكريا ونرجو أن تسمح الحالة في المستقبل القريب بعمل السقف الخشبي الجميل أسفل "جمالون" الرواق الأوسط.

وبهذا يعود للمسجد الأقصى المبارك كامل بهائه وجماله ويحق المجلس الإسلامي الأعلى أن يزهو ويفتخر بذلك العمل العظيم الذي تم في العهد الأخير.

الإصلاحات الحديثة في دروها الثالث

بعد أن يتم الدور الثاني من الإصلاحات الحديثة يتدئ الدور الثالث منها، متناولا القسم الغربي من المسجد وليس من المتوقع أن يبتدىء العمل الآن، بسبب الظروف الحاضرة، ولكن الاستعدادات قائمة لتحضير المشروع المتعلق بهذا الدور، الذي لا يشمل المسجد الأقصى فحسب بل يشمل نواحي أخرى في الحرم الشريف. ويشتمل الدور الثالث والأخير بالإضافة إلى تجديد القسم الغربي من المسجد الأقصى على بعض أعمال الزخرفة مثل النقش والتذهيب لسقفي الرواقين الأوسط والشرقي.

وبتجديد القسم الغربي تنتهي الإصلاحات في المسجد الأقصى ويوجه الاهتمام لإصلاح قبة الصخرة المشرفة وساحة الحرم الشريف.

ولكن هذه الأعمال تحتاج إلى جهود وأموال، ولا ريب أن العالم الإسلامي الذي جاد بالأموال في الماضي لإصلاح المسجد سيجود بها الآن لكي يتم إصلاح الحرم الشريف على خير وجه وأحسن صورة.

وكان لزيارة صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي، ولي عهد المملكة المصرية، أثر في هذه البلاد؛ إذ إنه تبرع بمبلغ كبير من المال لعمارة المسجد، وأشار بوضع مشروع لتنظيم ساحة الحرم وتجميلها. وقد وضع المجلس الإسلامي الأعلى هذا المشروع موضع التنفيذ، وبهذا ستصبح ساحة الحرم منظمة جميلة تليق بما فيها من دور فنية تزين جبين الفن الإسلامي والحضارة العربية. وقد دفعت الأريحية صاحب السمو إلى دفع مبلغ من المال لتنمية الإصلاحات وذلك عندما زار الحرم الشريف منذ مدة وجيزة.

إن هذا البيت المقدس لم يبرح مهوى أفئدة المسلمين على اختلاف أجناسهم يفدون إليه ابتغاء مرضاة الله والتبرك بقدسيته.

ولا ريب أن أحدًا لا يتأخر عن إتمام هذا المشروع وسيدأب على بذل الأموال والجهود في سبيل هذا البيت الذي يعد من أعظم بيوت الله حتى يعود سيرته الأولى ويستعيد مجده السابق، ويبقى درة ثمينة في الآثار الإسلامية العربية.

المهندسون والمقاولون والمعلمون والعمال

الدور الأول

المهندسون

– المرحوم كمال الدين المعمار التركي المشهور، مدير كلية الهندسة الملكية العليا في إستانبول، والأخصائي في الآثار الإسلامية، وهناك ثلاثة مهندسين من الأتراك هم: جمال بك وحسني بك ونهاد بك.

– رشدي بك الإمام الحسيني وقد أشرف على الإصلاحات الأولى بأجمعها، واضطلع بالمسؤلية الكبرى في هذا العمل العظيم. وقد تخرج في كلية الهندسة الملكية في إستنابول سنة ١٩١٠.

– المرحوم حكمت أبو السعود وقد ساعد في أعمال الرسم والتصميم. وكان أحد كاتبي الهيئة الفنية

الدور الثاني

– المرحوم محمود أحمد باشا مدير دائرة حفظ الآثار العربية في القاهرة، وقد تدرج في وظائفها ورئاستها مدة أربعين سنة وتوفي سنة ١٩٤٢.

– محمد نافع بك، وكيل دائرة لحفظ الآثار العربية سابقًا وقد عُيِّنَ مهندسًا مقيمًا للإصلاحات، غير أنه عاد إلى مصر لظروف خاصة.

– عبد الفتاح حلمي بك، المدير الحالي لحفظ الآثار العربية في القاهرة، وهو خريج كلية الهندسة الملكية في القاهرة، ويحمل من جامعة فؤاد الأول دبلوم الآثار الإسلامية بمرتبة الشرف. وقد أوفد مرات متعددة إلى أوروبا لدراسة الطرق الفنية المتبعة في ترميم الآثار والمحافظة عليها، وزار الآثار الإسلامية في شمالي إفريقيا وإسبانيا وفلسطين وسوريا في أثناء دراسته.

وقد ساهم بالإصلاحات في المسجد الأقصى منذ البدء فيها، ويشرف الآن على الإصلاحات القائمة بنفسه.

– محمد مهدي بك، مفتش الهندسة في دائرة حفظ الآثار العربية، وقد وضع تصميم الجمالون الجديد فوق الرواق الأوسط وهو خريج الكلية الملكية في القاهرة، وعضو جمعية المهندسين الإنشائية في لندن، وحامل دبلوم الآثار الإسلامية من جامعة فؤاد الأول.

– عباس أفندي بدر المهندس بدائرة حفظ الآثار العربية، خريج كلية الهندسة الملكية وجامعة فؤاد الأول في الآثار الإسلامية، وقد أشرف على تركيب "الجمالون" فوق الرواق الأوسط.

– حسن أفندي توفيق، المهندس في دائرة حفظ الآثار العربية، وقد ساهم في عمل الرسومات لمشروع الإصلاح، وأشرف على تركيب "الجمالونات" في القسم الشرقي.

– محمد أفندي فوزي حسين، وهو من رسامي الدائرة المذكورة، وقد ساعد في عمل الرسومات للمشروع.

– محمد أفندي رمضان، مهندس دائرة الأوقاف السابق، وفوزي أفندي عقروق مهندس الأوقاف الآن، وهو خريج


المهندس محمد نافع بك


عبد الفتاح حلمي بك


المندس فوزي عقروق

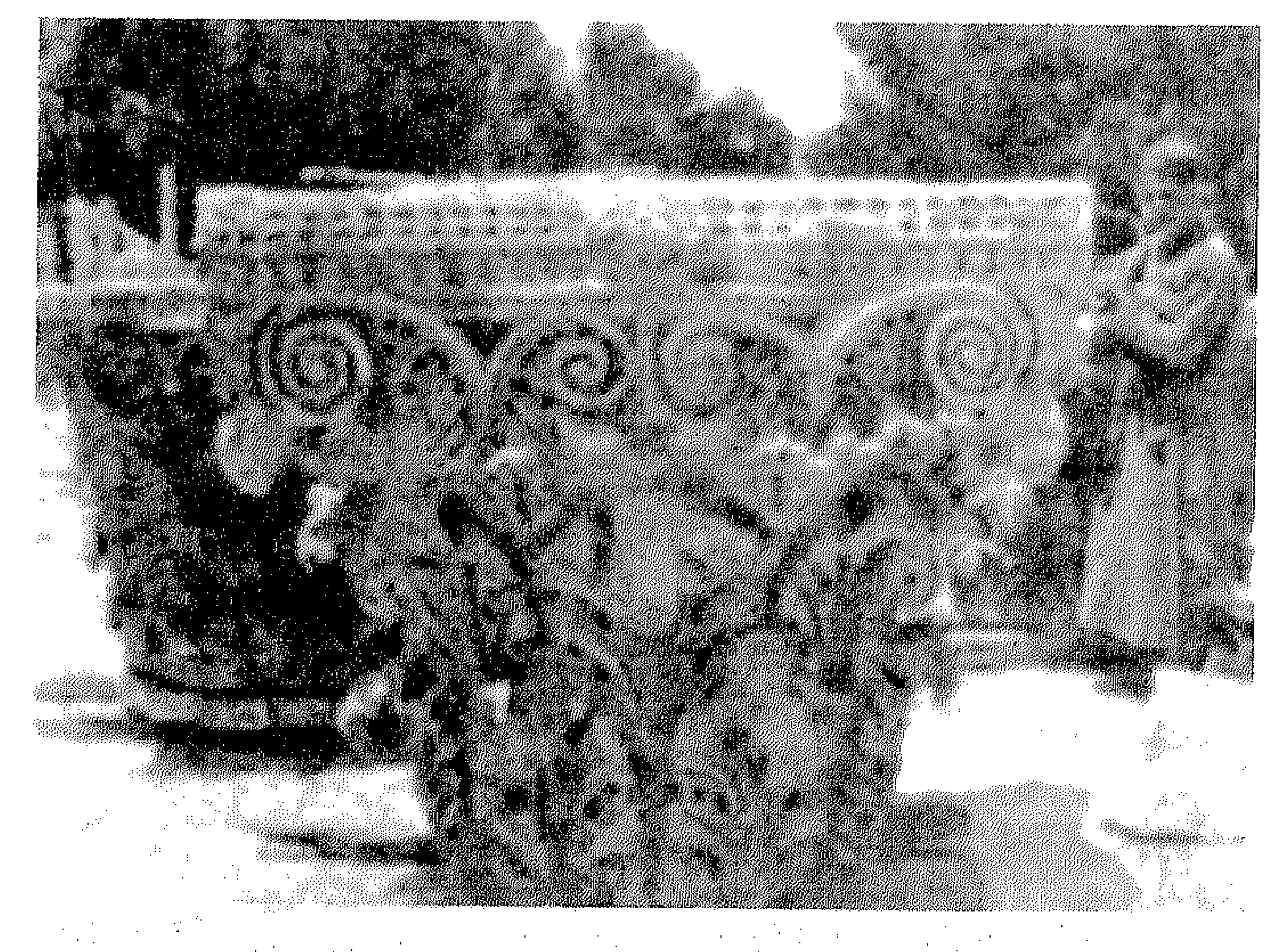
كلية الهندسة في إستانبول، وينوب عن عبد الفتاح حلمي بك في أعمال البناء والإصلاح.

وإن غاب عنا ذكر أحد من المهندسين فذلك عن غير قصد منا، وعلى حال فإننا نستبق العفو بتقديم الاعتذار.

المقاولون

جرت الإصلاحات في الدور الأول من العمارة تحت إشراف المهندسين المباشر، أما في الدور الثاني فقد أعطي القسم الأكبر منها للمتعهدين، فقام المهندسان السيد ثريا البديري، مهندس بلدية القدس سابقًا، والسيد رشاد البديري بهدم القسم الشرقي بأكمله وتحضير الأسس اللازمة للجدران وتهيئة قواعد الأعمدة التي استُحضرت من أوروبا، وقد أزالا قسمًا كبيرًا من الأتربة التي تجمعت في أثناء العمل لاتساع المجال للأبنية الجديدة، وتولت البناء شركة متشل ورولان في القدس فحدثنا وكيلها قائلاً:

"لا يخفى أن هذا العمل كان شاقًا لانطوائه على صعوبات هندسية تضطر المقاول للتوفيق بين الأوضاع الهندسية القديمة للأساس والأوضاع الجديدة في فن الهندسة المعمارية، كما قد عهد إلينا بتبليط المسجد ببلاط اقتلع من محجر في بيت فجار وهي قرية تقع بالقرب من الكيلو متر الثامن عشر على طريق القدس - الخليل، وعلى الرغم من طول المدة التي استغرقت في قلع البلاط من هذا المحجر، لم يستفد المقاولون إلا كمية تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ في المائة من الحجارة المقتلعة، وقد بلغت مساحة البلاط الذي استعمل ١٩٠٠ متر مربع، وقد استحضرنا الحجارة التي استعملت في الإصلاحات التي قمنا بها في القسمين الأوسط والشرقي من المسجد الأقصى من مقلعين الأول ويعرف "بالعزا" يقع بالقرب من رام الله، غير أن هذا المحجر لم يقتلع منه سوى ١٠ في المائة من الحجارة الضرورية للترميم، واستحضر القسم الباقي من الحجارة وقدرها ١٠٠٠ مترمكعب من المقلع الثاني بين



أحد تيجان الأعمدة الرخامية الجديدة

القدس ونابلس، وتعرف الحجارة التي اقتلعت من هذين المحجرين بالحجر "الملكي"، ولما كان لتناسقها في الشكل واللون والحجم أهمية كبرى استغرقت عملية الاقتلاع مدة طويلة، وبالنظر لصلابة هذا النوع من الحجارة فقد استعمل بعضها كتيجان لثلاثة عشر عمودًا، وأما باقي الأعمدة وتيجانها فقد كانت من المرمر الخالص".

وقد صرح لنا وكيل السادة متشيل ورولان أن عملهم قد انطوى على صعوبات جمة، غير أن المساعدة التي قدمتها دار الآثار العربية كانت عونًا كبيرًا في التغلب على تلك الصعوبات والتوصل إلى نتيجة مرضية.

المعلمون والعمال

لا تتسع هذه الصفحات لذكر أسماء ألوف العمال والمعلمين الذين قاموا بأعمال الإصلاح والبناء العظيمة. ولا ينكر أحد أن نجاح هذه الإصلاحات كان رهن أيديهم ومرتبطًا بمهارتهم واجتهادهم. ولقد قاموا بجميع أعمالهم بهمة تذكر ونشاط يشكر وحسبهم أجر اشتراكهم في عمارة مسجد عظيم، يعد من أعظم مساجد المسلمين. ولقد رأينا أن نذكر كلمة عن معلم فلسطيني رافق الإصلاحات منذ ابتدائها حتى الآن؛ وهو المعلم إبراهيم موسى الديسي،

كما رأينا أن نذكر كلمة عن المعلم المصري الحاج محمود الحبّال الذي أوفدته دائرة حفظ الآثار العربية في القاهرة للقيام ببعض أعمال الإصلاح والزخرفة.

غير أننا سنذكر أولاً كلمة عن الوجيه حسن عويضة مراقب الأعمال منذ ابتداء الإصلاحات حتى الآن. فقد كان "أبو غالب" مسؤولاً عن سير العمل في ورشه المختلفة ومراقبة تنفيذ التصميمات التي يضعها المهندسون.

وقد قال لنا أن عدد العمال في الإصلاحات بلغ في وقت من الأوقات أكثر من مائتي عامل كانوا يزاولون العمل في نواحيه المختلفة، وكانت لهم بطبيعة الحال مسائلهم الخاصة ومشاكلهم العامة التي تطلبت المعالجة لتيسير دفة العمل.

ومن الحوادث المتصلة بالعمل التي يذكرها أبو غالب نقل الأعمدة المستوردة من أوروبا من حيفا المتصلة إلى القدس. فقد وصلت إلى ميناء حيفا في سنة ١٩٣٧ باخرة تحمل أربعة وعشرين عمودًا من الرخام مع تيجانها وقواعدها للمسجد. فتطلب نقلها إلى القدس مجهودًا كبيرًا فوزن العمود لا يقل عن سبعة أطنان ونصف، ولا يقل طوله عن أربعة أمتار، بينما لا تزيد حمولة سيارة الشحن التي كانت تستعمل آنذاك عن أربعة أطنان. كان لابد إذا من المجازفة... فنقل قسم من الأعمدة إلى القدس بسلام، ولم تتعطل سوى سيارة واحدة بالقرب من مدينة جنين حيث صادفنا صعوبات جمة في إنزال العمود ورفعه على سيارة ثانية، ونقل قسم آخر من الأعمدة بالسكة الحديدية، وقد وصلت جميعها إلى القدس سالمة، وها هي رابضة في مكانها تزيد في بهاء المسجد وعظمته.

وقال أبو غالب أيضًا إن مراقبة الأعمال أثناء بناء أسس المسجد كانت شاقة جدًا بالنسبة لخطورة العمل وأهميته؛ إذ عليها المعول في بقاء المسجد وثبات صرحه.

المعلم إبراهيم الديسي

من الأشخاص الذين رافقوا الإصلاحات في المسجد الأقصى "المعلم إبراهيم الديسي" من القدس. فقد اشتغل في أعمال الإصلاح والترميم المختلفة منذ سنة ١٩٢٤.

ولقد أحببنا أن نتصل به لا سيما وأنه كان يباشر العمل بنفسه وينفذ تعليمات المهندسين.

قال بسذاجة مقرونة بالاعتزاز لاشتغاله في هذا المكان: القدس: لقد اشتركت في أعمال الإصلاح وأنا في ريعان الشباب، وها أنا الآن على أبواب الشيخوخة، ولكنني راضي الضمير هانئ البال لا سيما وأن الله سبحانه وتعالى يحث على تعمير بيوته. لقد كنت أؤدي فرائضي في المسجد في أوقاتها فازددت إيمانًا على إيمان... وها أنت ترى أنني أطلقت لحيتي ولبست العمة تزهدًا وتقشفًا...

وكان المعلم يدق الحجارة، وقواعد الأعمدة وما يتبعها ويشتغل في صنع النوافذ الجصية مقتديًا بذلك بالقواعد والنوافذ الأصلية، ثم عمل في حفر أسماء الخلفاء والصحابة رضي الله عنهم على جدار الرواق الأوسط وكانت هذه الأسماء مكتوبة بالطلاء، واشتغل أيضًا في نواحٍ أخرى



المعلم إبراهيم الديسي — السيد حسن عويضة — المعلم الحاج محمود الحبال

من المسجد، ويشتغل الآن في محراب زكريا، وهناك عمل كثيرون يصعب إحصاؤهم أو ذكر أسمائهم ولكن لهم أن يفتخروا لاشتراكهم في تعمير مسجد يعد من مفاخر الإسلام الثمينة وحضارة العرب القديمة.

وقال المعلم إبراهيم لقد صادفته كما صادفت غيره من العمال أيام عصيبة، ولكنه كان يتغلب عليها بالصبر والتسامح فمثل هذا العمل يحتاج إلى طول الأناة وتحمل كثير من الصعوبات.

الحاج محمود الحبال

وتركنا المعلم إبراهيم لكي نقابل المعلم الحاج محمود الحبَّال الذي أوفدته دائرة حفظ الآثار العربية في القاهرة للقيام ببعض نواحي الإصلاحات، ومنها الزخرفة فقال لنا إنه قضى أكثر من أربعين سنة في بناء المساجد وترميمها في القاهرة، وها هو الآن يشتغل في المسجد الأقصى المبارك، وهذه فرصة حققت له أمنية من أمانيه لكي يخدم بيتًا من بيوت الله.

وكان الحاج محمود يتحدث بحرارة وإيمان ويقول إنه باق في فلسطين حتى يرى المسجد في حلة قشيبة لا يحتاج معها أية إصلاحات أو ترميمات.

وسألناه عن العمال الفلسطينيين فقال إنهم ماهرون مخلصون في أعمالهم ويفترسون الصنعة بسرعة وإتقان، وقال إنه كان سعيدًا للاشتراك معهم في العمل وتبادل الاستفادة منهم. وقد اشترك المعلم الحاج محمود في القسم الثاني من الإصلاحات، وقال إنه يرجو الله أن يوفقه لرؤية القسم الثالث والأخير عندما يستعيد المسجد رونقه وبهاءه.

فودَّعناه سائلين له التوفيق.

الخاتمة

ليس هذا البحث سوى محاولة لإطلاع القراء على نواحٍ وتفصيلات هامة تنشر لأول مرة عن إصلاح هذا المسجد العظيم، فنأمل أن يجدوا فيها فائدة ومتعة. وعذرنا في أي نقص فيها أنها المحاولة الأولى من نوعها، فتاريخ العمارة لا يزال مكتوبًا في التقارير والملفات الرسمية أو محفوظًا في الصدور، ولهذا ترتب على المتضلع به بذل جهود كبيرة في سبيل الحصول على المعلومات اللازمة وتنسيقها والاتصال بالشخصيات المعنية بالأمر.

فإن نجحت هذه المحاولة ونالت من القراء رضا وعطفًا فالفضل عائد للهيئات والشخصيات الذين تفضلوا بالمساعدة والمؤازرة، وإن لم ترق لهم فالمسئولية تقع على عاتقنا ولنا في تسامحهم متسع لقبول الاعتذار والصفح .... والكريم من عذر.

الإصلاحات في رأي مستشرق، للأثري الكبير كريزويل

من البديهي أن يتبع علماء الآثار الغربيين الإصلاحات في المسجد الأقصى وأن يولوها ما تستحقه من العناية والاستقصاء في أبحاثهم ومؤلفاتهم. ولقد آثرنا نقل مطالعات أحد كبار علماء الآثار الإسلامية الذين كتبوا عن هذه الإصلاحات وأطلعوا العالم الغربي عليها، وهو الأثري الكبير كريزويل أستاذ الآثار العربية والإسلامية في جامعة فؤاد الأول في القاهرة.

وكريزويل من المؤلفين المعدودين في مضمار الفنون والآثار الإسلامية، لا سيما ما يتعلق منها بالمساجد والقصور. وأحدث مؤلف له هو "العمارة الإسلامية

القديمة". وقد وضعه بتشجيع من المغفور له الملك فؤاد الأول الذي طبعه على نفقته الخاصة. وهو كتاب ضخم يقع في مجلدين كبيرين مزيّن بمئات من الرسوم، وقد برهن المؤلف على سعة الاطلاع وغزارة المادة وقوة الحجة، والاستنتاج ومن آرائه التي أبداها بصدد المسجد الأقصى قوله في المجلد الثاني في الصفحات من ١٢١ إلى ١٤٢ ما يلي:

يسود الاعتقاد بأن المسجد الأقصى في شكله الحاضر من بناء عهد الصليبيين والسلطان صلاح الدين الأيوبي ولكن هذا الاعتقاد خطأ. ومن المحقق أن بناء بعض أقسام المسجد المحاذية للمحراب إلى عهد الصليبيين غير أن قسمًا كبيرًا من البناء شيد في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله، كما ثبت من أعمال الإصلاحات التي قام بها المعماري التركي الكبير المرحوم كمال الدين بك الذي كشفت أعماله عن الحقائق الآتية:

أولاً: عندما أزيل الجص عن واجهة القوس الشمالي الذي يحمل القبة من الشمال ظهرت تحت الجص فسيفساء زجاجية بديعة الصنع واللون، صُنعت بأشكال فنية رائعة على شكل أوراق نباتية تحيط بها كتابة كوفية تواجه المحراب ذكر فيها أن باني المسجد هو الخليفة الفاطمي.

ثانيًا: رفع كمال الدين بك قسمًا من الغشاء الرصاصي الذي يغطي القسم السفلي من ظاهر القبة فوجد أن هذا الغشاء يرتكز على "أصابع" خشبية يتحلى بعضها بالزخارف التي يرجع عهدها إلى أوائل العهد الفاطمي. ويستنتج من ذلك أن القبة وبناءها والأقواس الأربعة التي تحملها هي من صنع الظاهر لإعزاز دين الله.

ثالثًا: أن أقواس المسجد مرتبط بعضها ببعض بأربطة خشبية. يتألف كل واحد منها من قطعتين مرتبطتين بعوارض خشبية، مطلية بألوان جميلة، ومزينة بزخارف بديعة.

ثم كسيت هذه الأربطة بألواح خشبية وطليت بلون أصفر فاقع، ولما نزع الكساء عن بعض الأربطة بدت للعيان زخارفها الجميلة ويوجد قسم من هذه الجسور الآن في المتحف الإسلامي في الحرم الشريف بالقدس.

ووجد أن هذه الزخارف تطابق الزخارف التي تزين الجسر الجنوبي المحاذي لحائط المسجد غربي المحراب الذي كتبت عليه خطوط كوفية ترجع إلى القرن الخامس للهجرة مما يدل دلالة واضحة على أن الأقواس القريبة من المحراب هي من صنع الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله.

رابعًا: يرجَّح أنه تحت الجص الذي يكسو جدران المسجد الجنوبية فسيفساء زجاجية جميلة أسوة بالفسيفساء التي اكتشفت. (ملاحظة: لم تثبت الإصلاحات في القسمين الشرقي والأوسط صحة هذا الافتراض).

خامسًا: فحصت الأخشاب التي تحمل سطح الرواق الأوسط من المسجد بالمجهر فوجد أنها مكسوة بزخارف ترجع إلى القرن الثاني للهجرة، ويرجح إنه عندما أصلح المسجد أعيد استعمال هذه الأخشاب.

تلك هي الاستنتاجات التي توصل إليها كريزويل بعد إمعان النظر في أعمال كمال الدين بك، وفيما يلي آراؤه الخاصة في شكل البناء:

"ومن أجل أن قسمًا كبيرًا من بناء المسجد الحالي يرجع إلى عهد الخليفة الفاطمي الظاهر بما في ذلك أقواس الرواق الأوسط وعقود القبة، والمحقق أن حدود المسجد الشمالية اليوم لا تزال حيث أعادها الخليفة الظاهر، وأن المسجد في زمن الخليفة كان يتألف من سبعة أروقة ذات أقواس مبنية على خط عمودي لجدار المسجد الجنوبي.

وبجمل القول إن إصلاح المسجد يجب أن يسير على النمط والزخرفة اللذين بدأهما الخليفة المهدي في القرن الثاني للهجرة عندما ازدهر الحكم الإسلامي وبلغ شأنًا بعيدًا في العظمة والفنون الجميلة.

والواقع أن الإصلاحات التي تمت أخيرًا سارت على هذا النظام باستثناء توسيع المسجد من الناحيتين الشرقية والغربية.

المتحف الإسلامي

أدت الإصلاحات في المسجد الأقصى المبارك إلى توسيع المتحف الإسلامي وزيادة محتوياته الثمينة زيادة محسوسة، والمتحف قائم بالقرب من المسجد الأقصى داخل الحرم الشريف ويحتوي على كثير من التحف الأثرية الإسلامية؛ أخصها قطع الفسيفساء الصغيرة المختلفة في ألوانها الجميلة، والبلاط القيشاني الأزرق اللون الذي كتبت عليه باللون الأبيض سورة يس بالخط النسخ الجميل. ويرجع عهده إلى حكم السلطان سليمان القانوني.

وقد جمعت من المسجد الأقصى المبارك نوافذ الجص المفرغ والمرصع بالزجاج الملون وعدة أعمدة رخامية صغيرة تتميز بجمال نقوشها.

وأهم ما استخرج من أعمال التعميرات الأخيرة الرأسيات الضخمة المزخرفة التي كانت تتوج صفي الأعمدة الكبيرة في الرواق الأوسط. وهناك أيضًا القطع الخشبية المزخرفة، وكانت تربط بين الأعمدة ويعتقد أنها من عهد الفاطميين، وقد استعيض عنها بأربطة من الحديد المغلف بالخشب.

وهناك تحف أخرى في المتحف ولا تكمل زيارة الحرم الشريف إلا بزيارة هذا المتحف لا سيما بعد أن تمت الإصلاحات في القسم الأكبر من المسجد. فعندئذ يستطيع الإنسان أن يتبين عظمة الفن الإسلامي ويرى بأم عينيه إن كانت هناك فروق بين الزخارف السابقة والحاضرة، أو تغييرات هامة. وقيم المتحف الآن هو الشيخ يعقوب أفندي البخاري الأزبكي الذي تتجلى سعة اطلاعه في شئون المتاحف في تنسيق المتحف وترتيبه بصورته الجذابة.

مذكرة

عن مشروع إصلاح المسجد الأقصى

وضع

محمد عبد الفتاح حلمي

مدير إدارة حفظ الآثار العربية

القاهرة

١٣٦٣ - ١٩٤٤

المسجد الأقصى المبارك

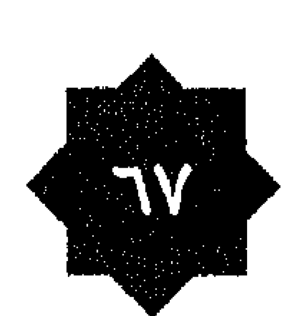
لمحة تاريخية : للمسجد الأقصى مكانة ممتازة ومنزلة رفيعة في نفوس المسلمين فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين ، واليه يممت الوجوه في فجر الإسلام ، واليه سرى من المسجد الحرام سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله " . والمقصود بالمسجد الأقصى في هذه الآية الكريمة هو تلك البقعة المباركة المحاطة بالأسوار والمعروفة بالحرم القدسي الشريف ، وقد كرم الله سبحانه وتعالى هذا المكان بتلك الآية الكريمة وأشاد النبي الكريم بذكره في قوله " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى " . وهو من أجل ذلك كان وما زال محط أنظار المسلمين وموضع رعاية ملوكهم وأمرائهم في مختلف العصور والأزمان .

عندما قدم عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس زار الحرم الشريف وأزال ما به من أقذار وشيد به مسجدا لم يعرف موضعه على وجه التحديد ، إنما يرجح أنه أقيم مكان المسجد الأقصى الحالي أي في الطرف الجنوبي من ساحة الحرم.

ويقول بعض المؤرخين أن الذي أنشأ المسجد الأقصى هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ (٦٩١ - ٦٩٢م) كما يقول البعض الآخر إن الذي أنشأه هو الوليد بن عبد الملك . ويؤيد رأي هذا الفريق ما ورد ببعض تحريرات على ورق البردي أرسلها قرة بن شريك عامل الأمويين على مصر في عهد الخليفة الوليد سنة ٩٠ - ٩٦ هـ (٧٠٩ - ٧١٤م) يطلب فيها من أحد حكام الصعيد صناعا ماهرين للمسجد بيت المقدس .

وفي سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ - ٧٤٨ م) حدثت هزة أرضية أدت إلى سقوط الجانبين الشرقي والغربي للمسجد فلما كانت سنة ١٥٤ هـ (٧٧١ م) أمر أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين بتجديد ما تصدع منه وسقط وما لبث أن حدث زلزال آخر أدى إلى تهدم المسجد مرة أخرى ، فقام المهدي ثالث الخلفاء العباسيين في سنة ١٦٣ هـ (٧٧٩ - ٧٨٠ م) بإعادة بنائه وانقص من طوله وزاد في عرضه .

ولم ينبئنا المؤرخون بما كان عليه تخطيط المسجد الأقصى في مراحله الأولى إلى أن جاء المقدسي في القرن الرابع الهجري ووصف في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) تخطيط المسجد أيام المهدي ويؤخذ من هذا الوصف أنه كان يتكون من رواق أوسط كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب يغطيه جمالون وينتهي من الجنوب بقبة عظيمة تقع أعلى مقدمة المحراب . وتكتنف الرواق الأوسط من كل من جانبيه سبعة أروقة موازية له وأقل منه ارتفاعا محمولة عقودها جميعا على أعمدة اسطوانية . ويتوسط الواجهة



الشمالية باب كبير كان يسمى باب النحاس الأعظم يؤدى إلى الرواق الأوسط رأسا وعلى كل من يمينه ويساره سبعة أبواب يؤدى كل منها إلى رواق من الأروقة الجانبية السالفة الذكر .

وفى سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) حدث زلزال آخر أدى إلى تهدم مسجد المهدى فقام الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله بإعادة بنائه سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ - ٣٥ م) ولم يغير من تخطيطه العباسى سوى تضييقه من الشرق والغرب بحذف أربعة أروقة من كل جانب فأصبح يكتنف الرواق الأوسط الكبير ثلاثة أروقة فقط من كل من الجانبين وتحوى الفسيفساء المذهبة التى تحلى الواجهة الشمالية للعقد الحامل للقبة كتابة بالخط الكوفى تشير إلى هذا التجديد وهذا نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله . أمر بتجديد عمارته مولانا على أبى الحسن الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ...... " .

وقد ظل الكثير من بناء الظاهر قائما إلى ما قبل التعميرات التى تمت فى السنين الأخيرة ممثلا فى العقود التى تحمل القبة والفسيفساء المذهبة التى أشرنا إليها والتى ما زالت موجودة إلى الآن والرواق الأوسط بأعمدته وعقوده وما يعلوها وبعض أعمدة وعقود القسم الشرقى . والمرجح أن ساحة المسجد أيام الظاهر هى نفس ساحته الحالية أى ٦٩ مترا طولا و ٥٢ مترا عرضا تقريبا .

اتخذ الصليبيون المسجد الأقصى مكانا لسكنى ملكهم بعد أن أعادوا بناء الرواقين الشرقيين ونظيريهما الغربيين على نظام القبوات المصلبة المحمولة عقودها على أكتاف مربعة القطاع مخالفين بذلك التخطيط الأصلى أيام العباسيين والفاطميين . وبقى المسجد على هذا الوضع من حيث التخطيط إلى ما قبل التجديد الأخير .

وعندما فتح صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس أمر بإصلاح المسجد الأقصى وتجديد محرابه وكتب بأعلاه بالفسيفساء المذهبة ما نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه فى شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله إذاعة شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة " . كما نقل إليه المنبر الخشبى الجميل الذى أمر بصنعه بحلب الملك نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ٦٩ م) خصيصا للمسجد الأقصى وهو من أجمل المنابر الأثرية وأقدمها وأدقها صناعة .

وفى سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) أمر الملك المعظم عيسى صاحب الشام (ابن الملك العادل الأيوبى) بإنشاء الرواق الذى يكون الواجهة الشمالية الحالية للمسجد ، وهو يشتمل على سبع فتحات معقودة

أكبرها أوسطها ويقابل كل منها باب من أبواب المسجد ، وهذا الرواق يغطيه سبع قبوات مصلبة وقد ثبت بأعلى الفتحة الوسطى لوحة رخامية مكتوب عليها " أنشأ هذه الأروقة الشمالية الملك المعظم أبو العزائم عيسى بن الملك العادل سنة ٦٢٤ هـ .

وتوالت بعد ذلك أعمال التعمير والإصلاح بالمسجد الأقصى في عهد كثير من سلاطين المماليك والعثمانيين ، فقام السلطان المنصور قلاوون ومن بعده ابنه الناصر محمد بترميم الفسيفساء المذهبة المحلاة بها القبة وبتجديد سقف محراب زكريا الملحق بالمسجد من الجهة الشرقية وأبواب الواجهة الشمالية ، كما قام الأشرف قايتباي بإصلاحات أخرى منها تغطية الأسقف بألواح الرصاص وتجديد الشرفات المتوجة لواجهة الرواق الشمالي آنف الذكر ، وأثبت هذا التجديد على لوحة رخامية أعلى العقد الأوسط مكتوب بها ما نصه " جددت هذه الشراريف والطراز اللطيف في أيام الأشرف قايتباي سنة ٨٧٩ هـ .

تلك لمحة تاريخية عن أهل الأطوار التي مر بها المسجد الأقصى المبارك إلى أن كانت سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) حيث ظهر خلل خطير بالقبة أدى إلى أن استصرخ المجلس الإسلامي الأعلى بالقدس العالم الإسلامي للمساهمة في نفقات إزالة الخطر وتعمير المسجد فلبى المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها النداء وأقبلوا على التبرع فجمع في ذلك الوقت زهاء ثمانين ألف جنيه صرفت في تدعيم القبة وتجديد عقودها وأعمدتها وتمت هذه الإصلاحات سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) وقد كان هذا العمل محل عطف المغفور له الملك فؤاد الأول إذ شمل الوفد الفلسطيني الذي قدم مصر لهذا الغرض برعايته السامية وتبرع له بمبلغ كبير .

الخلل الذي حدث بالمسجد أخيرا وأسبابه : عندما شعر المجلس الإسلامي الأعلى في أوائل سنة ١٩٣٨م أن خطرا جديدا يهدد كيان المسجد الأقصى بادر بالاتصال بإدارة حفظ الآثار العربية وكان على رأسها المرحوم محمود أحمد باشا الذي ندب من فوره كلا من الأستاذ محمد نافع وكيل الإدارة السابق ومحمد عبد الفتاح حلمي مفتش هندسة الآثار العربية إذ ذاك ومدير الآثار العربية حالا للسفر إلى القدس لمعاينة المسجد وتقرير ما يلزمه من علاج ، فقاما بفحص مباني المسجد من جميع نواحيه من الداخل والخارج ، وظهر لهما أن التصدع الذي حدث يتركز بحالة خطيرة في موضعين : أولهما بالقسم الشرقي ، وثانيهما بالرواق الأوسط الكبير ، أما فيما عدا ذلك فحالة المباني لا تدعو إلى القلق فهي حافظة لكيانها ولو أن بجهات متفرقة منها بعض شروخ وميول بسيطة لا أهمية لها . لذلك اتجه البحث إلى الموضعين الخطيرين آنفي الذكر .

ففي القسم الشرقي ظهر أن القبوات المصلبة التي تغطي رواقيه الشرقيين تحمل أتربة بارتفاع يقرب من المترين تعلوها ألواح من الرصاص . وأن الذي حدث بهذا القسم عبارة عن انفصالات في صنج العقود تبعها تفكك وشروخ في مباني المصلبات نفسها ثم ميل وتكسير مخيفين في أحد الأعمدة الحاملة لصف العقود الثالث من شرق

كذلك تفكك فى المبانى بحالة خطيرة عند تلاقى أحد العقود المتعامدة مع صف العقود سالف الذكر . وأن التصدع الحادث بهذا القسم كان نتيجة للعوامل الآتية : ـ

أولا ـ بناء القبوات المصلبة بطريقة غير فنية لم يراع فيها مقاومة قوة الدفع التى لابد من حدوثها من تأثير ثقل المصلبات وما يعلوها من الأتربة والرصاص .

ثانيا ـ ضعف مونة البناء وتحللها بمضى الزمن .

ثالثا ـ فعل الزلازل قديما وحديثا وما تسبب عنه من حدوث حركة فى المبانى .

حدث هذا الخلل منذ سنين عولج فى وقتها ببناء بعض دعائم ساندة لوقف تأثير قوة الدفع عند أرجل عقود المصلبات إلا أن ذلك لم يجد كثيرا بدليل ظهور الشروخ والتفكك مرة أخرى سواء فى المصلبات أو العقود إزاء هذه الحالة الخطيرة رؤى الإسراع فى عمل صلبات خشبية لحمل بعض العقود المختلة ثم عمل دعامتين ساندتين إحداهما لسند العمود المائل آنف الذكر والأخرى لسند المبانى المفككة وقد تمت هذه الصلبات على خير وجه وفى أقصر وقت ممكن واصبح القسم الشرقى بذلك مأمونا وخصوصا بعد إزالة ما كان يعلوه من أتربة .

أما الرواق الأوسط فالذى حدث به هو أن الأعمدة الحاملة لعقوده لم تقو على تحمل الضغط الواقع عليها لضعف مادة الحجر ثم لبناء هذه الأعمدة من مداميك قليلة الارتفاع وعدم التبسيط بينها جيدا بالمونة مما أدى إلى حدوث شروخ وتكسيرها . ذلك ما حدث بالأعمدة ، أما المبانى التى تعلو عقود هذا الرواق فقد تبين أن بالجزء الغربى منها ميلا شديدا للخارج (الجهة الغرب) بلغ حوالى عشرة سنتيمترات فى المتر وأن المبانى فى هذا الجزء المائل مفككة ومونتها ضعيفة جدا وقد عولجت فى وقت ما بسد فتحات الشبابيك العلوية تقوية لها . وكل ما استطعنا عمله تأمينا لها تأمينا مؤقتا هو سقية لحامات المبانى بمونة السمنت .

تلك هى الأعمال التحفظية التى عملت صيانة لسلامة المسجد إلى أن أعد مشروع الإصلاح وشرع فى تنفيذه .

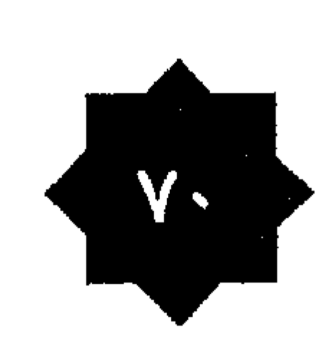
مشروع الإصلاح : عند التفكير فى إعداد مشروع الإصلاح كان أحب شىء إلينا أن نوفق إلى طريقة تمكننا من ترميم ما تصدع من المسجد دون الالتجاء إلى هدم أى جزء من أجزائه إلا أن الحالة كانت قد بلغت من الخطورة مبلغا لم يمكن معه الترميم دون الهدم وإعادة البناء .

عندئذ أعد مشروع الإصلاح على هذا الأساس أى هدم القسم الشرقى والرواق الأوسط وإعادة بنائهما .

وعند البحث فى إعادة بناء القسم الشرقى وماهية النظام الواجب اتباعه كنا أمام حالتين : ـ

الأولى ـ إعادة بنائه طبقا لما هو عليه الآن أى قبوات مصلبة ترتكز عقودها على أكتاف مربعة القطاع فى الرواقين الشرقيين وسقف مستو محمول على صفين من العقود المرتكزة على أعمدة اسطوانية فى الرواق الثالث .

والثانية ـ إعادة بنائه طبقا لتخطيطه الأصلى فى العهدين العباسى والفاطمى أى صفوف من العقود



محمولة على أعمدة اسطوانية تسير من الجنوب إلى الشمال موازية للرواق الأوسط .

وقد استعرضنا المشروعين ورجح لدينا المشروع الثانى دون الأول ، خصوصا وأن القبوات المصلبة التى تغطى الرواقين الشرقيين عملت فى عهد الصليبيين على نظام مغاير للتخطيط الأصلى للمسجد كما سبق بيانه .

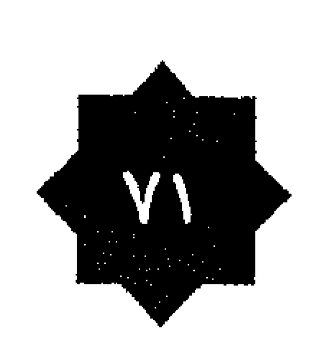
ولما كان الرواق الأوسط مازال قائما منذ التجديد الفاطمى فقد رؤى هدمه وإعادة بنائه كما هو مع إبدال الجمالون الخشبى المغطى له بآخر من الحديد الصلب .

تفصيل المشروع : روعى فى إعداد المقايسة الابتدائية لمشروع الإصلاح الانتفاع بقدر الإمكان بجميع مواد البناء الصالحة للاستعمال . فالأحجار المتخلفة من الهدم استخدم الكثير منها فى الأساسات والأخشاب الصالحة أدخلت فى عمل الجمالونات التى تغطى سقف القسم الشرقى وفى تطبيق أعلى جمالون الرواق الأوسط كما أعيد استعمال الرصاص القديم فى تغطية هذه الجمالونات بعد تسييحه وتنقيته من المواد الغريبة وإعادة سبكه. وقد استعيض عن الأعمدة الحجرية بأعمدة رخامية استوردت من إيطاليا ودقت تيجانها وقواعدها طبقا لرسوماتها القديمة بالقدس بواسطة عمال فلسطينيين يجيدون هذه الصناعة واستبدل بالأوتار الخشبية التى كانت تربط أرجل العقود بعضها ببعض أخرى من الحديد كسيت بالخشب . هذا والحجر الذى استخدم فى البناء أو فى تبليط الأرضيات استخرج من محاجر فلسطين وهو حجر أبيض اللون شديد الصلابة .

أما سقف القسم الشرقى فعمل من الخرسانة المسلحة على هيئة " قصع " نصف كروية تحيط بها أشكال هندسية وقد اختير هذا النوع من الأسقف لمماثلته للسقف الذى يغطى محراب زكريا والذى نرجح أنه من عمل السلطان قلاوون أو ابنه الناصر محمد ولأنه من ناحية أخرى لم يمكن الاستدلال على ما كان عليه سقف هذا القسم على عهد الفاطميين .

تنفيذ المشروع : عهد المجلس الإسلامى الأعلى بالقدس إلى إحدى الشركات بهدم ما تقرر هدمه مع التحفظ التام على باقى أجزاء المسجد ثم عهد إلى شركة أخرى بأعمال البناء وإقامة الأعمدة الرخامية والخرسانة المسلحة وتبليط الأرضيات وعمل الجمالون الحديدى المغطى للرواق الأوسط وتركيبه كما عهد إلى صناع مصريين ببياض سقف القسم الشرقى وعمل الشبابيك الجصية المفرغة والمحلاة بالزجاج الملون واستغرق هذا العمل حوالى السنتين. وفى الصيف الماضى تم ترميم القسمين الأوسط والشرقى من الواجهة الشمالية بأن استبدل بأحجارهما المتآكلة والآيلة للسقوط أحجار جديدة مع احتفاظهما بتفاصيلهما المعمارية القديمة دون تغيير أو تبديل .

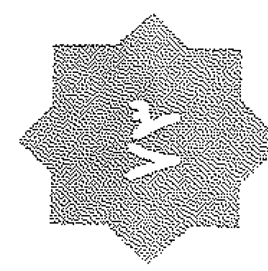
وقد بلغت تكاليف هذا المشروع منذ البداية إلى الآن حوالى ٥٥٠٠٠ جنيه فلسطينى دفعها المجلس الإسلامى الأعلى من ميزانيته الخاصة . وأعدت إدارة حفظ الآثار العربية هذا المشروع وقامت بالإشراف على تنفيذه من البداية للنهاية ، وهى مازالت تشرف على مختلف أعمال الإصلاح والترميم التى تتطلبها الأماكن الأثرية بالحرم الشريف.

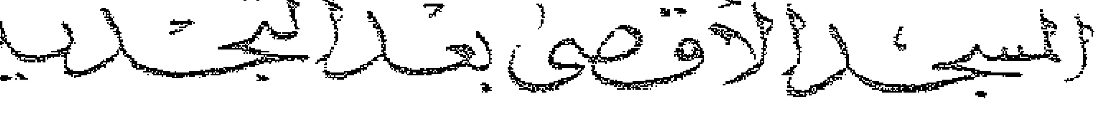


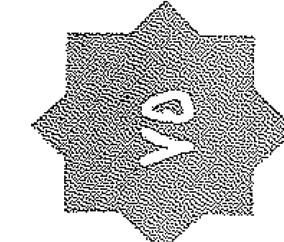
السقف الخشبي المزمع عمله لتغطية الرواق الأوسط : كان يغطي هذا الرواق جمالون من الخشب لا يحجبه من الداخل سقف أفقي وكان بأسفله كمرات خشبية بطرف كل منها تجليد من قطعة من الخشب مختلفة الأطوال محفور عليها زخارف متنوعة يرجع طرازها إلى أوائل القرن الثاني الهجري يرجح أنها جلبت من مكان آخر وثبتت في أطراف هذه الكمرات . هذا ما كان عليه تسقيف الرواق الأوسط قبل المشروع الأخير الذي استعيض فيه عن الجمالون الخشبي بآخر من الحديد ترك مؤقتا بدون تسقيف من الداخل لعدم توفر المال اللازم لدى المجلس الإسلامي .

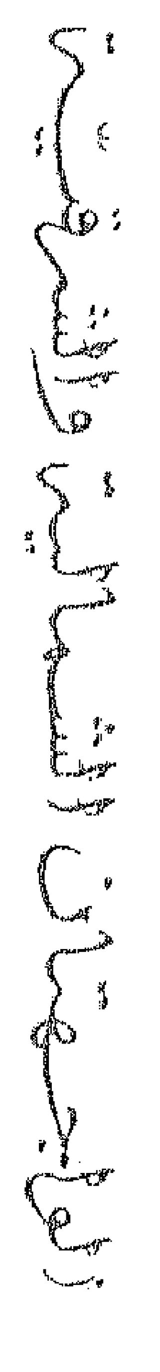
لم تغفل الإدارة أمر هذا السقف بل أعدت له مشروعا راعت في تصميمه روح الزخارف الفاطمية زخارف ذلك العصر الذي جدد فيه هذا المسجد تجديدا شاملا أدرك الكثير من معالمه . وقد اعتمدت الحكومة أخيرا مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه في ميزانية إدارة حفظ الآثار العربية لعمل هذا السقف الذي سيشرع في تنفيذه في القريب العاجل إن شاء الله تعالى ؟

منظر عام للحرم القدسي الشريف




المسجد الأقصى بعد التجديد

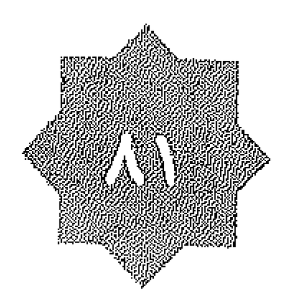




الواجهتان الشمالية والشرقية

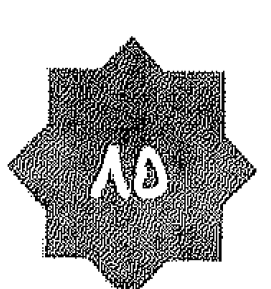
القسم المجدّد من الواجهة الشمالية

القسم الأوسط من الواجهة الشمالية

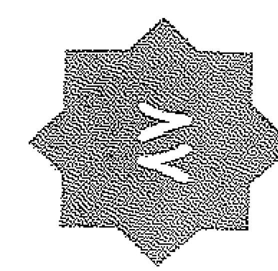


الرواق الأوسط بعد تجديده

نهاية الرواق الأوسط من جهة القبلة



جزء من سقف الرواق الأوسط



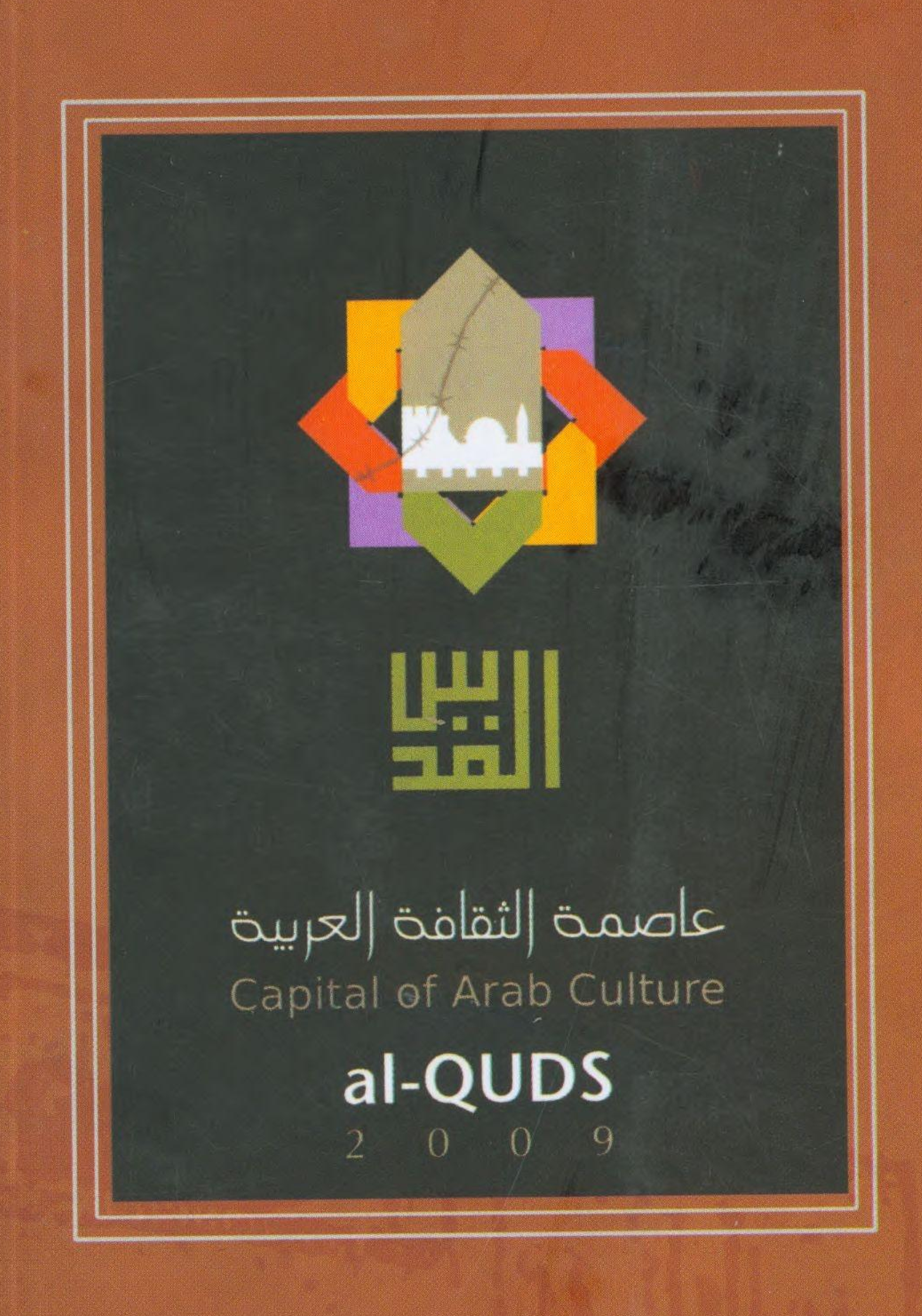
الإشراف الفني : هبة الله حجازي
محمــــود مــــراد

المراجعة اللغوية : آمـــال الديـــب

المسجد الأقصى هو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وإليه كان إسراء محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام؛ فهو مثال الروعة والضخامة والفن بحق، ومفخرة العمارة الإسلامية ومعجزة من معجزاتها.

مرت على المسجد الأقصى حقب من الزمن أثرت فيها عوامل الطبيعة على كثير من أقسام المسجد؛ فتصدع بعضها وفقد غيرها شيئًا من روعته، غير أن الأيدي تعاونت وتكاتفت من أجل إعادة البهاء إلى هذا المسجد العظيم وليستعيد مكانته ورونقه.

يتناول كتاب "عمارة المسجد الأقصى المبارك" تعريفًا شاملاً بالحرم القدسي الشريف وآثاره التاريخية؛ حيث يعتقد الكثيرون أن قبة الصخرة هي فقط المقدسة لدى المسلمين، إلا أن الحرم بأكمله مقدس لديهم، كما يتضمن أيضًا تقارير وافية نشرت عن مجلة "المنتدى" وهي مجلة ثقافية فلسطينية؛ حيث تتناول هذه التقارير مشروع ترميم وإصلاح المسجد الأقصى، وكل ما له علاقة بتاريخ هذا الصرح العظيم، وما مر به من أحداث، وما عملت فيه يد الإصلاح، مرفقًا بها العديد من الصور للمهندسين والعمال الذين شاركوا في عملية الترميم. كذلك اشتمل الكتاب على مذكرة عن مشروع إصلاح المسجد الأقصى؛ كان قد وضعها الأستاذ محمد عبد الفتاح مدير إدارة حفظ الآثار العربية، وتبين المذكرة الجهود المصرية في ترميم المسجد الأقصى ليتربع على عرش الحضارة من جديد.


القدس
عاصمة الثقافة العربية
Capital of Arab Culture
al-QUDS
2009